الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية الآداب واللغات

– قسم اللغة والأدب العربي–

أساليب السخرية في مقالات محمد الهادي الحسني "نجوم ورجوم" –أنموذجا– (مقاربة أسلوبية)

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبة:

✍ أسماء بيتور

إشراف الأستاذ:

– مسعود خرازي

نوقشت وأجيزت علنا أمام اللجنة المكونة من السادة الآتية اسمائهم:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ/د سعيد بن سعد	أستاذ تعليم العالي	جامعة غرداية	رئيسا
أ/ خرازي مسعود	أستاذ مساعد "أ"	جامعة غرداية	مشرفا ومقررا
د/ بن سمعون سليمان	أستاذ محاضر "أ"	جامعة غرداية	مناقشا

الموسم الجامعي : 1439 – 1440هـ/2018– 2019م

الإهداء

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيم

{قُلْ هل يَستَوِي الذِينَ يَعْلَمُونَ وَالذِينَ لَا يَعْلَمُون} (سورة الزمر،الآية:09)

أُهدِي عَمَلِي هَذَا إلى مَن غَرسَ فِي نَفسِي وَرُوحِي حُبَّ العِلمِ، وَرَعَانِي بِكلِّ إخلَاص، الوَالِدَين الكَرِيمَين: أَبِي العَزِيز "**بُوحَفص**" وَوَالِدَتي "**يَمِينَة**"، أَطَال الله فِي عُمرِهِمَا.

إلى أَخَوَاتِي: سُعَاد، زَينَب، رِيمَة، وَإخوَتِي نُور الدِّين، مُحَمَد، الذِين أَتَمنَّى لَهُم النَّجَاح فِي حَيَاتِهِم.

إلَى صَدِيقَاتِي كلٌّ من: كَلثُوم، حَمِيدَة، صَفَاء، إيمَان، هَاجر، رَاضيَة، ثُوتَة، أُم الخَير، مَريَم، سَاميَة، خَضرَة، زَهيّة.

إلَى أُستَاذِي: "**مَسعُود خَرَّازِي**"؛ الذِي أَشرَف عَلى مُسَاعَدَتِي؛ لإتمَامِ هذِه المُذَكِّرة، وَيكفِينِي فخرًا أنّه تَشرف بأَن يَقبَل بالإشرَاف عَلى مُذَكِّرَتِي.

إلى خِرِيجِي دُفعَة 2019: وَفَّقَهُم الله وَإلى كلّ مَن وسَعهُم قَلبِي، ولَم يَسعهُم قَلَمِي.

"**أسماء بيتور**"

شكر و عرفان

قَالَ رَسُول الله صَلّى الله عَلَيه وَسلَّمَ :

"مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ الله لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ".

الشُّكر وَالثَّنَاء لله عزّ وجلّ؛ الذِي وهبنِي القوّة والعَزِيمَة، وسَهّل عَليًّا سُبل المُثَابَرة والنَّجاح، فالحمد لله حمدًا يَلِيق بِوجهِ كَرَمِه وجَلَالتِه، عَلى حَجمِ المَنِّ والعَطَاءِ، مِن صِحّة وَعَافِية؛ لإتمَام هَذا العَمل المتواضع.

إنّ الاعتراف بالجَمِيل مَا هُو إلّا جُزء يَسِير مِن ردّه؛ ولأنّ الكلمَات كلّ مَا نَملكه إزَاء من غَمَرَني بالجَميل وأخصُّ بالذِّكر الأستَاذ الفَاضل؛ الذي لَم يَبخَل عَليَّا بالنّصح والإرشَاد، وظلّ يُحفزني، فلكَ منّي أَسمَى مَعَاني التّقدير أستاذ "**مسعود خرازي**".

أَتَقدّم بِشُكري الخَاص، إلى كلّ مَن أسهم في دَفع وَتِيرة هَذا العَمل، ومدّ يد العَونِ والمسَانَدة ولَو بِكَلِمَة طيّبة، نخصّ في هذَا المَقَام كل مِن الدكتور"**حَمُودة مصطَفى**" والدكتور "**جهلان**"، والدكتور "**بن سَمعُون سليمان**" والدكتورة "**شَامخَة خَديجَة**"، وعمال مكتبة الجامعة بغرداية.

إلى كلّ مَن كَانَ لَه الفَضل في إنجَاز هَذا البَحث وَلَو بِدعَاء أو كَلمَة تشجيع.

ونتقدّم بالشّكر إلى كلّ مَن تَمنّى أَن يَرى عملنا هَذا شيئًا ملموسًا، وإلى كلّ من سَره نجاحنَا والشّكر لله من قبل ومن بعد.

"أسماء بيتور"

جَاءَ عُنوَان بَحثِي بِـ: "أَسَالِيب السُّخرِية في مَقَالَات محمَد الهَادِي الحسَني "نُجُوم وَرُجُوم" أنموذجًا.

وَقمتُ باستِخرَاج أَسَالِيب السُّخرية: "أُسلُوب الاستِفهَام وَالتّنكِيت، وَالتّبكِيت، وَالمفَارَقَة وَالتَّعرِيض"مِن مُدَوّنة الدِرَاسَة.

تَنَاوَلَت الدِّرَاسَة مَحاوِر أَسَاسِيَّة، مُستَهلُّها التَّعرِيف بالمقَال وَالسُّخرية، وَجُذُورُها الأُولَى وَمَوضُوعَاتها في المدوّنة، فَاعتَمدتُ المنهج الأُسلُوبي لِتحلِيل؛ العِبَارَات السَّاخِرة وَتَرَاكِيبِهَا نحويًا وَصوتيًا ودلاليًا، وَأيضًا وَقفتُ عِندَ سِمة المفَارَقة؛ لِلكَشفِ عَن مَواطِن التَّهكُم، وَبيَان أَوجُه التَّمَايز؛ لِإعَادَة إِنتَاج نَص آخر انطلاقًا مِن سِيَاقِه.

وَتَبيَّنَ لَنَا مِن خِلَال هَذِه الدّرَاسَة، قُدرَة الخِطَاب السَّاخر، في التَّأثِير عَلى المجتَمَع؛ بِتَخفِيف مَرَارَتِه وَتغييرِه للأَحسَن؛ لمعَالجَة قَضَايَاه الكُبرَى، في مُختَلَف المجَالَات "السِّيَاسِيَّة وَالأخلَاقِيّة والدِينِيّة والاجتِمَاعِيّة" وَغيرهَا.

الكلمات المفتاحية: السُّخرِية_ المقَال_ محمَد الهادِي الحَسَني_ مُفَارَقَة _أَسَالِيب.

Our study is mamed « the humourous style » in the essays of Mohammed El Hadi El Hassani –Noujoum Wa Rojoum- as an example.

I picked up the humourous styles (interrogatoire joking,…) from the Resrche.

The study insisted on three main intems starting with the definition of the essay and humour and its beginning and its different subjects. I relied on the stylistic method to analyse the phrases and how they are built grammatieally, phonetically and semantically. I also insisted on the point of contradiction to discover the humourous points and their differenciation to reproduce a new text from the same one.

We conclused from this study the ability of the humourous discourse to influence the society in releasing the pains and change to the best and treating the great questions in diferant fields social, economic, political, religious… etc.

key words: the irony_ the article_ Mohamed El Hadi El Hassany_ A paradox _Techniques.

مقدمة

اللّهُمَّ باسمِكَ نَبتَدِأ وَبِهَديِكَ نَهتدِي، بِكَ يَا مُعِين نَستَرشِد وَنستَعِين، اللّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّم عَلى سَيِّدِنَا مُحَمَّد خَير الخَلق أَجمعِين، وَعَلى آلِه وَصحبِه وَالتَّابِعِين، وَمَن استَنَّ بِسُنّته إِلى يَوم الدِّين وَبَعد:

إنَّ **السُّخرية** طَبِيعَة إِنسَانِيَّة؛ فَهِي مُكمِّل أَسَاسِي يُغذي رُوح الإِنسَان، يَحتَاجُها لِيخرِج السُّمُوم؛ التي تُعكِّر مَجَازَه، وَيُخفِّف بِهَا عَن الضُّغوطات النَّفسية المحيطَة بِه؛ لِيوَاجِه الوَاقِع بالآلَام وَخيبَات الأَمل، فَتكُون بِذَلِك مضادًا يُقَاوِم هَذا الدَّاء، كَانَت قديماً تُتَّخذُ لهدَف الفَكَاهَة، مِن بَاب تسلِية الرُّوح فَقَط، ثُمّ شيئاً فشيئًا بَدَأَت تَدخُل عَالم الفَنّ لِتمتَلِك الفَّنَان، ليُحوِّل مَشَاعِرَه السَّاخِرَة، إِلى كَلِمَات وَصُور فنِّية، تَعُج بالمعَاني النَّقدِية؛ كَأُسلُوبٍ جَديدٍ، استَقطَب أَهَمّ الكُتَّاب، استَهَلَّه الغَرب وَتَأَثَّر بِه العَرَب، طَوَوا بِه صَفحَة الكِتَابَة العَادِية، إِلى كتابةٍ أكثرَ إقبالاً عَلى القِرَاءَة، تُوحِّد بَين المتعَة والقَنَاعَة، تُشخِّص مُشكِلَات الحيَاة الكَثِيرَة الاختِلَاف والتَّنَاقُض، قَاوَمَت المرَارَة بِالضّحك، لِتمتِع النَّاس، وَتُمثِّل وَجهَ الحقّ المسلُوب مِنهُم، تَواجَدَت السُّخرية في كُلّ مَجَالَات الأَدَب، وَمِن الأَجنَاس الأَدَبِيّة التي مَستهَا هَذِه الأَخِيرَة "**المَقَال**"، وَهُو مَعرُوف بِسُرعَتِه في مُعَالجَة المواضِيع؛ التي تَقِفُ عَلى أهَم عَثَرَات الحيَاة، فَيُعَبِّر عَنهَا بِأَسَالِيب مُتَنوِّعَة؛ مِنهَا أَسَالِيب السُّخرية التي وَلَّدَت لَنَا نوعًا جديدًا، يُطلَق عَليه "**المَقَال السَّاخِر**"، الذي نُعَاني قِلَّته في السَّاحَة العَرَبِيّة وَالجزَائِرِيّة عَلى وَجهِ الخُصُوصِ، عُرِف عِندَ الشَّيخ البَشِير الإِبرَاهِيمي أولاً، ثمُ سَارَ عَلى مَنهَجِه مِن بَعدِه، الأُستَاذ محمَّد الهَادِي الحسَني، مِنَ الكُتَّاب البَارِعِين في هَذَا الفَن، اتَّخذ مِن السُّخرِية غرضاً؛ لِيكشِفَ الحقَائِق المشَوَّهَة في واقعِنَا، فَكَانَ مِثَال التِّلمِيذ النَّجِيب؛ الذِي جَسَّد أَفكَار أُستَاذِه وَطَوَّرَهَا.

وَقَد وَقَع اختِيَارِي عَلى الموضُوع المقتَرح، انطلاقًا مِن عِدَّة أَسبَاب:

1- تَوجِيه أُستَاذِي المشرِف، في إِحدَى مُحاضرَاتِه لموضُوع المقَالَة، وَأَهَميتُهَا في عَرض الأَفكَار وَمُنَاقَشَتِها؛ وَالتي لَمَ تَنَل حَظًّا مِن اهتِمَام الطَّلَبة.

2- الاهتِمَام بالأَدَبِ الجزائري شعرًا ونثرًا.

3- الرَّغبَة في اقتِحَام عَوالم الأُستَاذ المبدِع "مُحَمَّد الهَادِي الحَسَنِي"، المعرُوف أدبياً وإعلامياً ودينياً، بأُسلُوبِه في مُعَالجَة القضَايَا، فَكَان التَّعريجُ عَلى أُسلُوبِه المتمَثِّل في السُّخرية الهادِفَة، في معَالجَة القَضَايَا الشَّائِكَة، خَاصّة إِذَا عَلمنَا أَيضًا، أَنَّ الدِّرَاسَات النَّقدِيّة المعَاصِرة في الجَزَائِر، لَمَ تُعرّج عَلى كِتَابَات الحسَني بِشَكلٍ كافٍ.

فكَانَ مَوضُوع بَحثِي مَوسُومًا بِعُنوَان: **أَسَالِيب السُّخرِية فِي مَقَالَات مُحَمَّد الهَادِي الحَسَنِي "نُجُوم وَرُجُوم" أُنمُوذَجًا**، واقتصَرَت دِرَاسَتِي في كَشفِ الأَسَالِيب؛ التي اعتَمَدَهَا الكَاتِب لِلسُّخرِية، مِن دُعَاة الفَسَاد (الرُّجُوم)، وَمَا يُقَابِلُها مِن أَهل الخَير وَدُعَاة الإِصلَاح (النُّجُوم)، منوّعًا وَمُتَفَنِّنًا في هَذِه الأَسَالِيب؛ لِيَصِل إِلى هَدَفِه مِن السُّخرية، والتي لم تَتَّضِح إلا بَعد الإِجَابَة عَلى الإِشكَالِية التَالِية:

❖ إلى أيِّ مدى يكونُ خِطابُ السُّخرية خطاباً تغيريًّا مؤثرًا ؟

وَيندَرجُ ضِمن هَذِه الإِشكَالِية الرَّئيسِية الأَسئِلَة الفَرعِيّة التَالِية:

- كَيفَ كَانَت السُّخرية قديماً وَكَيفَ أَصبَحَت في العَصرِ المعَاصر ؟
- مَا الذي يُميّز السُّخرية في الأَدَب الجزَائِرِي عَن الأَدب العَرَبِي ؟
- كَيفَ نُحلّل المقَال السَّاخر في المدوّنة" نُجوم ورُجوم " مِن وِجهَة نَظَر أُسلُوبِيّة ؟

وللإجابة عن هذه التّسَاؤُلَات جَاءت الدّرَاسَة مُقتَرَنَة بالخطّة التالية:

فَفِي **التَّمهِيد**، وَقَفتُ عَلى ذِكرِ كُلٍّ مِن المقَال وَالسُّخرِية وَمَفهُومِهِمَا، ثُمّ ميّزت نَوعِيّة المقَال الذوِي أَدرُسُه، وَفَرقتُ بَين المصطَلَحَات التي تَتَشَابَك مَع السُّخرِية.

كَمَا تَطَرَّقتُ في **المَبحَث الأَوّل**؛ السُّخرِية في الأَدَب العَرَبِي عَامّةً وَالجزَائِرِي خَاصّةً وَموضُوعَاتها في المدوَّنة، فَتضَمَّن ثَلاَثَةَ مَطَالِب، **الأوّل**: السُّخرِية في الأَدَبِ العَرَبي عامّةً، و**الثاني**: السُّخرِية في الأَدَب الجزَائِرِي خاصّةً، و**الثَالِث**: مَوضُوعَات السُّخرِية في المدوّنة "نجوم ورجوم".

أَمَّا **المَبحَث الثاني**؛ فَتمَثَّل في تَحدِيد المظَاهر الأُسلُوبية؛ التي تَجَلَّت فِيهَا السُّخرِية في المدَوّنَة "نُجُوم وَرُجُوم"، وَتضمَّن أَربعَة مَطَالِب، **الأَوَّل**: مُفَارَقة العُنوَان، وَ**الثَّاني**: أُسلُوب الاستِفهَام، و**الثَّالِث**: أُسلُوب التّنكِيت والتّندُر وَأُسلُوب التّبكيت، و**الرَّابع**: أُسلُوب المفَارَقَة وَأُسلُوب التَّعرِيض.

وأَنهَيتُ بَحثِي **بِخَاتِمَة**، ذكَرت فِيهَا أَهمَّ النَتَائِج المتَوَصَّل إِليهَا، لِتَلِيهَا **قَائِمَة المَصَادِر وَالمَرَاجِع**، ثُم **المُلحَق** الذِي تَضَمَّن نُبذَة عَن الكَاتِب وَمُدَوَّنتِه.

واعتَمدتُ عَلى المنهَج التَّاريخي، في تَتَبُّع الجذُورِ الأُولَى للسُّخرية، أمَّا في تَحلِيل بعض النمَاذِج مِن المقَال السَّاخِر،اعتمدت عَلى المنهَج الأُسلُوبي، خصوصاً في آلية المفَارَقَة؛ لِكشْف المعَاني السَّاخِرة في المقَالَة، وأيضًا لِتوَافُق هَذِه الآلِيّة، مَع مُصطَلَحَات بَلَاغِيّة قَدِيمة كالتَّهَكُم والتَّعرِيض... الخ، وَهِي في نفْس الوَقت أسَالِيب تُعتَمد في الكِتَابة السَّاخِرَة.

وَمن خِلَال البَحث، وَجدْتُ العَدِيدَ من الدّراسَات التي تَنَاولَت السُّخرية؛ لَكِن أَغلَبُها كَان في الشِّعر أَو القصّة أو الرّواية؛ منهَا مُذَكِّرة لِنيل شَهَادَة الماستِر، لزينة جوَّاد وسُهَيلَة طَرَارِرِيست بِعنوَان: "تجلّيات السّخرية في القصّة العربيّة المعَاصِرة بين زكريَا ثَامِر والسعيد بُوطَاجِين"، جَامِعة عَبد الرَّحمَان مِيرَة_بجَاية_ سَنة 2014، وَفي نَفس الجَامِعَة مُذَكِّرة أُخرَى، مِن نَفس الدَّرَجَة، لِبرَكُو هِيبَة وَرَابحي لَيلَة بعنوان:"جَمَلِيّات السُّخرِية في أَعمَال رِضَا حُوحُو" سنة 2018، والملاحَظ في هَاتَين الدّراستين، أنّهما لم يتعمَّقَا في الدّراسَة الأَبعَاد السّاخرة، أمَّا الدّراسات الأكادِمية خَارَج الوَطَن؛ فهنَاك دِرَاسَة لِنيل شهَادة الدُّكتُوراه، لِلطَّالب عَبد الخَالِق عَبد الله عُودَة عِيسَى بعنوان: "السُّخرية في الشِّعر العَبَّاسي في القَرنَين الثَّاني والثَّالِث الهجرين"، بجَامِعَة الأردن سنة 2003، فَقد استفَدت مِنهَا كثيرًا، وَبَنيتُ أَفكارِي مِنهَا عَن السُّخرية في القَديم.

أمّا أَهم الدّراسَات التي اتّخذتها مرجعًا مهمًا لي؛ دراسة لنيل شهادَة الدُّكتُوراه بعنوان "السّخرية في الأدَب الجزَائِري الحَدِيث لنَاصِر بُوحَجام". ومن المراجع الأخرى نذكر منها:

- "**السُّخرِية في أَدب الجَاحِظ**" لسيد عبد الحليم حسن حسين.
- "**المُفَارَقَة القُرآنية "دِرَاسَة في بُنيَة الدّلالَة**" لـ د. محمد العبدوا.
- "**السُّخرية وَالفَكاهَة في النَّثر العَبَّاسِي**" لنزار عبد الله خليل الضمور.

وَمِن الصُّعُوبَات وَالعَرَاقيل، التي وَاجَهتُها في إِنجَاز هذَا البَحث:

- قلّة الدّراسَات التي تَنَاوَلَت السُّخرية في المقالات.
- قلّة المصَادر والمرَاجِع التي تَنَاوَلَت السُّخرية، فَقد اتكَأت عَلى المجلاَّت، أكثر مِن الكُتب.
- تَوسُّع أَساليب السُّخرية، وَبَراعَة الكَاتِب في الدَّمج بَينَها، ممّا صَعُب عليّ مُهِمَّة التفريق، مَع ضِيق مسَاحَة الوقت؛ لإنجَاز مِثل هَذِه المذكرات.

وَفي الأَخير أَحمدُ الله أَن وَفَّقَني لإتمَام البَحث، وَإنجَازِه عَلى الصُّورة التي هُو عَليهَا، وَلا يَسَعُني، إلَّا أَن أُقدّم الشُّكر الجزِيل؛ لمشرِفي الأُستَاذ **مَسعُود خَرَّازي**، عَلى مَا قدَّمه لي مِن دعمٍ وتشجيعٍ، واهتمامٍ وتأطير، كَمَا أَشكُر قِسم اللُّغة العربيّة وآدَابها لجَامِعَة غَردَاية، طلبة وعمالاً.

غرداية في: 13 جوان 2019

بيتور أسماء

تمهيد

إنّ الأدَب العَربي الحَدِيث في أَواخِر القَرن الماضِي، تَطَوّر نَتِيجَة لِلنَّهضَة الأَدَبِية، فانفَتحنَا عَلى الآدَاب الغَربية؛ بِفعل التّرجمَة والبَعثَات العِلمِيَّة، وَهَذا الاحتِكَاك الأَدَبي، خَلَق تأثرًا وتأثيرًا بينَنَا وبَينَهُم، لمقَاوَمَة الرَكَاكَة وَالزُّخرف اللَّفظِي والابتذَال؛ الذين اتّصف بِهِم عَصر الضّعف والانحطَاط، فَقد أَخَذ النَّثرُ نصيباً، مِن هَذِه الحَرَكَة التَّطورِيّة، فَعرفنَا أجناساً أَدَبِيَّة بخصَائِص فنّية جَدِيدَة، لم تَكُن مَوجُودَة، في أدبنَا القديم بهذه الصُورة الكَاملة، كالقصّة والرّواية والمقالة وغيرها.

وَمَا يَهُمُنا هُو **المقَال**، فَقد تَعدَّدَت المعَاجِم في شَرح دلَالَاتِه اللُّغوية؛ إذ جَاء في مُعجَم لِسَان العَرَب أنّ المقَالَة: «مأخُوذَة مِن "القَوْل" بمعنَى الكَلَام عَلى التَّرتيب (...) نقول: قالَ يقولُ قولاً وقيلاً قولة ومقالاً ومقالة»[1]، جاءت مادة (مَقَالْ) من القَولْ، فقد دلّت عَلى كُلّ مَا يجهَر أَو يُدل به اللّسان، أَو كل شيء يتلَفَّظ، وأيضاً تَوافُق الصّيغة اللّغوية للمقال، مَع مَا نَعمَل به حاليًا، لدّلالة على هذا الجنس.

واصطلاحاً اختَلفَت المصَادِر في تَعرِيف المقَال، لمُرونَة هَذا الجِنس، وَكَثرَة الإقبَال عَلِيه، تَمَيَّز عَن سَائِر الأجنَاس، فَكُلّ دَارِس وَضَع لَه تعريفاً عَلى حَسَب تَخَصّصِه، وهذا فتح باب التّعدد والتّنوع، شهد تطوراً من فترة إلى أخرى؛ لأنّه لا يأخذ وقتًا ولا جهداً؛ بقدر ما يقدم مشهدًا من الحياة، أثّر في صاحبه، فقد اخترت تعريفاً ذَكَره محمد أَحمَد العَزب في تعريف المقَالة، اعتمادًا على دَائِرة المعَارف البرِيطَانِيّة بِأَنَّها: «قِطعَة فنّية مؤلَّفة مُتَوسِّطَة الطّول، وتكُون عادةً منثُورة في أسلوبٍ يمتازُ بالسُّهولة والاستِطرَاد، وتُعَالج موضوعاً من الموضُوعَات_ عَلى وَجه الخصُوص_ مِن ناحية تأثُّر الكاتب به»[2] .

وَفي هذَا التّعريف نَعرِف أنّ المقَالَة تَمتَاز بالقُصر، وهذَا لِكَون الصَّحِيفة تَفرِض عَليهَا ذَلِك، وتتّخذُ من خيالِ صَاحِبهَا مصدراً لها؛ في بناء صورة فنّية واضحَة غَير غَامِضة، تعالج موضوعاً محددًا، خلق أثرًا في ذَاتِية الكَاتِب، وَقَال عَلي جَواد طَه في هذَا الشَّأن: «تَلتَقي كَلِمَاتها وَفَقَرَاتها عِند الدَّافِع

(1) ابن منظور: **لسان العرب**، تح/ عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مج11، ط2، 2009، ص:681.

(2) محمد محمد عبد الله حسن السلام: **فن المقال بين الأصالة "والتطور رؤية نقدية"**، الدراية، مجلة علمية محكمة، تصدرها كلية الدراسات الإسلامية والعربية، لبنين بدسوق، مصر، (د، مج)، ع15، 2015، ص:17.

المبَاشِر، أَو مَا يشيعِه هَذا الدَّافِع في نَفس صَاحِبه»[1]، أي أنّ المقال لا يَنقُل الموضوع، في شَكل تَقريري وسَردِي لِلمعلُومَات فقط، بقدر ما يقدم لنا انطباعه من الموضوع ذاته.

وَيشتَرط في المقَال التّأثير في القَارئ، وَذَلِك لَا يَكُون إلا بحُجَجٍ مُوثّقة، تُكون دَليلاً عَلى كَلام كَاتِب المقال، أمّا مَواضِيعه لابدّ أَن تَكُون مُواكِبة لِلعصر، تَتَحلّى بأَعرافِه النّقدية ولا تَخرج عنها، فلا يُكتب مَوضُوعاً، لَا يُعبر عَن بِيئَة صَاحِبه، أَو يَخرُج عَن تَقَالِيدِه، إنّما هُو «متحَدّث في مَجلِس، يَجمَع أَهلَه بَين رَهافة الحسّ، ورقيّ التَّقَالِيد والارتيَاح»[2]، وَفي كَلَام عَلي جَواد طَه، احتِرام للإطَار الاجتِمَاعِي وأَعرَافِه في كِتَابَة المقال.

وتعدُّ أول مُحاولَة غَربِية احتضنت هذَا الفَن الجَدِيد، كَانَت مَع الفَرنسِي **ميشال مونتين Michel de Montaigne [1574-1580]**؛ خَرَج عَن قَواعِد الكِتَابة التَّقليديّة إِلى كِتَابة جَدِيدَة، قَوامها التَّعمُق في المواضيع التَربَويّة وَالخلقيّة، بتَجرُبة عَنوانَها "محاولات"، وأصَّلَ لهذَا الفَن الأَدَبي الفِكري، وَفَتَح لمن بَعدَه البَاب: أَمثَال"**فرنسيس بيكون** [Francis Bacon] الإنجليزي؛ متأثّر "**بمونتي**" ثم شيئًا فشيئًا، بَدَأ فَن المقَال يَتَطَوَّر[3].

مَع حَملَة **نابليون بونابرت**[Napoléon Bonaparte]عَلى مَصر في ق19م، جَاء غازياً أَحضَر معه أَسلِحَة وَأجهِزَة مُتَطوّرة، مِنهَا الطَّابِعة التي تُسَهِل من عَمل الصَّحَافة، وَمِن هُنا عَرفَت السَّاحة العَربية هَذا الجنس الجَدِيد، كَان لنَا جنساً نثرياً يَقرُب للمقالَة؛ هُو "رَسَائِل الجَاحِظ". وَيعُود الفَضلُ لِظهُور المقَال عند العرب، لـ**رفَاعَة الطهطاوي** الذي أَسَّسَ الصَّحَافَة، وَأَنقَذ هَذا الفَن مِن مُحَاولات البعض؛ التي تميّزت بالطَابع التّقليد والتَّكلف والصنعة، وأَغلَب المقَالَات العَرَبيّة، كَانَت تَهدِف إِلى نَشر التّعليم والتّوعية، والتّثقيف والوعظِ والإرشَاد "اتجاه إصلاحي"، وبعد ذلك ظهر رواد آخرون أمثال: **المنفلوطي** و**العقاد** و**طه حسين**[4].

(1) علي جواد طه: **مقدمة في النقد الأدبي**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1979، ص:262.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) ينظر: كمال الجاسم المحمود: **فن المقالة**، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، مج24، ع1، 2008، صً،ص:450-451.

(4) ينظر: المرجع نفسه، ص:460.

أمَّا في الحقل المغَارِبي وبالتّحدِيد في الجزَائِر، فَنَجِد الشّيخ **البشير الإبراهيمي** و**عبد الحميد بن باديس**، ثم كِتَابَات **محمد الهادي الحسني**، وَقَد تَأثر بهم تَأثُّرًا شديداً.

ويقُوم المقَال عَلى منهَجِية (مقَدِّمة _عَرض _خَاتمة)، وَينقَسِم إلى أَقسَام وَيَتفَرَّع إلى أَنوَاع، لَكِن مَا يَهُمُّني هُو" **المقال السَّاخِر**"؛ الذي يَعكِس صُور الوَاقِع بجمَالِه وَقبحِه، وَمَا أَكثَر استِنَادَه على الجوانِب السَّلبِية، مُلازماً لحرَكَة الشَّعب، يَستَلُّ مِنه القضَايَا البَارِزَة، وَيعرضُها بِأَسَالِيب سَاخِرة، مِن تَندُّر وَتبكِيت وَتَعرِيض، لَا تُوجَد في نَمط الكِتَابة العَادِية، لَافِتة النّظر إلى التَّلاعب باللُّغة وتَرَاكِيبهَا بِ: «عرَض الفِكرَة بِأَسَالِيب جذَّابَة تبدُو مزاحاً لغوياً ولعباً مهارياً بالتراكيب وتلميحاً ذكياً ومُورِياً ورَواغاً»[1]، هذا الأسلُوب حبّب مُتلَقِيها، عَلى قِرَائتِها وَالإقبَال عَليهَا، وغَاية المقَال السَّاخر، تَتَعدَّى المعنَى السِّيَاقِي لِلنَّص، تُعَالج مُشكِلَات حَقِيقِيّة، وَلا تَكتُب لِتسخَر مِن النَّاس وَتهزأَ مِنهُم، وإنّما تَضعُ يدهَا عَلى مَوضِع الأَلم لِتعَالجَه، تَستَخدِم الرُّمُوز اللُّغويّة، والعِبَارَات الفُكَاهِيّة، الحامِلة لِشفرَات ذَات أَبعَاد عَمِيقَة، تَقُوم عَلى قَلبِ المعَاني، مِن مَعنَى ظَاهِر لخفِي، وَ هُو مَا يُعرَف (بالمفارقة).

وإنّ السُّخرية ميّزَت المقَال السَّاخر، فانفَرد بابتكَارَاتِه العِلميّة، كَان فيهَا وحيداً فردًا لا نظيرَ لَه؛ فهِي تُمثل نوعاً أدبياً، وُجدت لتُخفف مَرارةِ الغير وتصحّحَ مفاهيم خَاطِئَة؛ فَمِن النَّاحية اللُّغوية للسُّخرية، جَاء في قَامُوس المحِيط حَسبَ مَادَّة: «"سخرَ،" سخرَ منه، سُخرًا وسخرةٌ ومسخرًا (...): هزئ، والاسم السخرية»[2] وإنّ السُّخرية لغةً؛ هِي إخضَاع الآخر وَتذلِيله والطعن، والضَّحك عَلى شَخصٍ، بمَا فِيه مِن عيُوب، وَجَاء قَولُه تَعَالى في هذَا الشَّأن: ﴿وَلاَ يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾(الحجرات، الأية:71)

كثرُت المفَاهِيم الاصطِلاحيّة للسُّخرية، ولم أَجِد أَشمل مِمَّا ذَكَرَه مُحَمَّد نَاصِر بُوحَجَام قائـلاً: «السُّخرية طريقة فَنّية أدبية ذكية لَبقة، في الإِبَانَة عَن أَرَاء وَمَواقف بِرُؤيَة خاصّة، وبصَبغة فَنِّية مُتميّزة، وَهِي أُسلُوب نَقدي مُضْحِك هازئ هادف، وتعبيرٌ عنْ اِنفعَال مُعين، كَعدم الرّضى بِتنَاقُضات الحَياة

(1) راشد عيسى: **الصورة الفنية في المقالة الصحفية الساخرة**، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، جامعة البلقاء التطبيقية، عمان، الأردن، مج30، ع 11، 2016، ص:2019.

(2) الفيروز آبادي: **قاموس المحيط**، تح/ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، دار المعرفة، بيروت، ط4، 2009، ص:405.

وتَصرفَات النّاس، وكَشف عَن الحَسْرَة وَالمرارة، بطريق غير مُباشر بعيد عن العاطفة الجامحة والانفعال الحاد، قصد الإصلاح والتّقويم والتّغيير نحو الأحسن، وطلباً للتّنْفيس عن الآلام المكبُوتة» [1]، فالسُّخرية مَسلَك يَكشِف مَواطِن الفسَاد في المجتَمعِ، بأسلُوب نَقدِي تَهكُّمي؛ لَكِنَّه في نَفس الوقت توجِيهي و تقويمي؛ لاقتلاع التَّلف وَالعطَب مِن جذُوره.

تعدَّدت طرق السُّخرية، ما بين **الفَكاهة** و**التّهكم** و**الضّحك**، فكل من الضّحك والفكاهة، يبعث للتّسلية والترفيه عن النّفس؛ لكن عند اقترانه بالسّخرية، تعطيه هدفاً ومعنى وقدرَة خاصّة، أمّا التّهكم فهو أقوى من السّخرية؛ لما فيه من تدميرٍ للذات ووقعه أشَّد على النفس[2].

(1) محمد ناصر بوحجام: **السخرية في الأدب الجزائري الحديث**، نشر جمعية التراث، القرارة، غارداية، الجزائر، ط1، 2004، ص:32.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص_ص :24-26.

المبحث الأول :
السخرية في الأدب العربي عامة
والجزائري خاصة وموضوعاتها في مدونة "نجوم ورجوم"

المطلب الأول: السُّخرية فِي الأَدب العَرَبي عَامَّةً

إن أي فنٍّ في بدايته، يكون ساذجاً وبسيطاً، ونجده متداخلاً ضمن مجموعة من الفنون، أو العلوم، أو الآداب الأخرى، ثم شيئاً فشيئاً بفِعل عَوامل تُأَثّرُ فيه، تجعله يحظى باستقلالية، من خصائصٍ وشكلٍ يبرزه عن باقي الفُنون، وهذا هو حال السُّخرية، نجد لها آثاراً منذ الأزل، حيث إن: «السُّخرية قديمةً قِدم الإنسان لأنّها؛ تكُون تَرويحًا عن النّفس أو تَسْرِيَة القَلْبِ، أو استنكارًا لما يقعُ، أو هزءًا وتندرًا بالخصمِ»[1]؛ فالسُّخرية إذن تمثل جانبَ المزاحِ؛ الذي ينفس الإنسان به عن نفسه، ويعدّل به الجوَّ ليخلق مرحاً، وقد تعدّدت اِستعمالاتُ السُّخرية من عصرٍ لآخر، وهو ما يجعلُنا نتساءل كيف تطور مدلول السُّخرية؟

لم تكن السُّخرية في العصر الجاهلي، تَرتَقي إلى مستواها الحالي، لا نصفها ظاهرة بقدر ما يمكن القول عليها، تندرج تحت غرض الهجاء للقذف والسُّخر من الخصم، لذا: «إن الهجاء ربما كان بمثابة النّافذة التي أطل ضياؤها على الفكاهة، كما أنّ التّغزُل بالمرأَةِ ومُعَاقَرة الخَمرة وغَيرهَا هِي مَدعَاة إلى ظُهور الفَكاهَة السَّاذَجَة»[2]، فالعلاقة بين الهجاء والسُّخرية، قائمة على الاستخفاف المشتمل على الضحك، من مغازلة النّساء وغيرها؛ كوضاعة النَّسب والفقر والخمر، ومن لا يأخذ بالثّأر والحطّ بخصومهم إذن: «فالشّاعر يتكلم باسم القبيلة، لذلك يَتَهكّمُ بأعدَائِها ويَسْتَهزئُ بِهم (...) مستغلاً الظّروف المناسبة»[3]،فقد كانت السُّخرية في بداياتها مرتبطةً بالفكاهة السّاذَجَة؛ التي اعتبرت شرارة الأدب السّاخر، وصفت بيئتهم وكفت ما تتطلبه حياتهم.

إن السّخرية تتطلبُ المفارقَة اللّفظيَّة، وطُول البَال وعَدَم الانفعال، حتّى تَتَفنَّنَ بدَمٍ بَارِدٍ لتُفحم المخاطب؛ لكن طبيعة البَدوي وتَركيبَة شَخْصيَّته، تتنافى مع السُّخرية كأدب، اتّخذ الوَجه المبَاشر في الرّد، هذا ما جعلُها بَسيطَة، على حد قول ناصر بُوحجام: «عرف العصر الجاهلي أدباً ساخرًا، إلّا أنَّ هذا الأدب لم يكن رفيع المستوى بسبب عوائق (...) كالتزامه بالصراحة في التعبير التي تتنافى مع

(1) السيد عبد الحليم محسن حسين: **السخرية في أدب الجاحظ**، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ط1، 1397هـ/1988م، ص:64.

(2) محمد ناصر بوحجام، المرجع السابق، ص،ص : 40-41.

(3) نزار عبد الخليل الضمور: **السخرية والفكاهة في النثر العباسي**، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1،2012، ص:31.

طبيعة الساخر المبدع»[1]، ويُعرف قديماً الذي يُخفِي قَولَهُ ويُوارِيه، يُطْلقُ عَليهِ جباناً، فلابدّ أن يكون الشَّاعِر في الواجهة، ويقذف عدوَّه، حتى يعلي من شأن قبيلته ليكون فحلاً.

من خلال ذلك نَستَنتِجُ أنّ السّخرية، رافقت الهجاء في بدايته الأولى؛ لكن بعد أن وصل إلى درجةٍ عاليةٍ من القذفِ، انفصلت في مدلولها، وأضحت تُعبّر بمعانٍ بسيطةٍ، عن العُيوب في صورةٍ مكشوفةٍ مباشرة، إلا أنّها اعتبرت من الأدب السّاخرِ، عَبّرت وَلَو بِقَليل عن حيَاتِهم[2].

وبعد ما كان العَربُ يعيشُون في البَادية، ولا يستقرُّون على حالٍ، ويمجدون العَصَبِية القَبلية والحُرُوبَ الأَهلِية، وَصَفَ شِعرهم هذِه الطّبيعَة، وَعَبّرت أَلْفَاظُهُم عَن قَسَاوَةِ مَعيشَتَهم، ولم تتغير معاملتهم، إلا مع النَّبِي مُحَمَد صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، حاملاً مَعَهُ رِسَالَةَ دينٍ جديدٍ "الإسلام"، ينقلنا من الظُّلماتِ إلى النُّورِ، ورَفع شعار العدل بين النّاس، لا يوجد غنيٌّ وفقيٌر،و هذا عبدٌ و هذا سيد، من هنا خفت التّفاخر والسّخرية وجاء قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾(سورةالهمزة، الآية:01)، وأيضا: ﴿وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ﴾(سورة الحجرات، الآية:11)،كل من الآيتين وعدٌ ووعيدٌ؛ لمن يذكر أخاه بعيب، أو يستخف به بأيَّ طريقة، سواء بغمزٍ أو قولٍ؛ لكن رغم ذلك نجد تجليات للسخرية، في ثووب مخالف لما كان في العصر الجاهلي، بحيث تناسبت مع هذا الدّين وما يَأمُر بِهِ، فقد «اتجهت السخرية (...) مع طبيعة الدعوة الإسلامية، وما ينسجم مع المبادئ الجديدة، وتلونت لما يكفل لها البقاء في دائرة الإسلام»[3]، حيث إنّ أيَّ قولٍ ساخرٍ يتنافى مع القيَّم الإسلاَميّة، يصنَّف ضمن المحرّمات ويحاسب عليه.

ومن مجالات السُّخرية التي سُمِحَ بها، تَجسَّدت لِقَصْف الكُفَّار والمشْركين، والرّد على ادِّعاءاتهم، حول الرَّسُول صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلّم، بوصفه أنّه سَاحرٌ ومجنونٌ، وَمَا جَاءَ به هو كفرٌ وبهتانٌ، فقد غدَتْ السُّخرية وسيلة دفاع إِذْ: «أصبحَت السُّخرية والتَّهَكُم رِسالة خُلقية، ومسؤوليّة دينيّة وأسلوباً دعوياً، وسلاحاً وقائياً» [4]، فكما كان لقريش شُعراؤُها، كَذَلكَ للمُسلِمينَ مَنْ يَنْطِقُ شعراً بِقَولِ

(1) محمد ناصر بوحجام، المرجع السابق، ص:39.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص،ص: 44-45.

(3) المرجع نفسه، ص:45.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الحقِّ، ولَيس بِغَرَض الردّ فقط والتّفاخُر، بل من أَنبلِ الأَعمَال، الجِهَاد في سَبيل الله، حتّى وإِن كَانَ بقولٍ، وذلك أضعف الإيمَان.

في صَدرِ الإسلام قلَّتْ السُّخرية، وهذا راجع لنهي عقيدتنا السّخرية من المسلمين؛ وإن وُجِدت تكون ردًّا على الكفّار، وكذلك لازالت تتّخذ الوَجهَ الواحد المباشر، لم يُتَفَنَّنْ فيها، وأيضا مرتبطة بغرض الهجاء بمعانٍ بسيطة[1].

وبعدما اشتدَّ عُود الدّولة الإسلامية، واستقرّ وضعُها، وخرص الكفار والمشركين، ثمّ زاحتهم من الحكم، بعد صراع طويل ودامٍ، لتعرف الدّولة الإسلامية في العصر الأموي: «عُهُودُها الذّهبِيّة والتي كانت من أبرزها الفُتوحات الإسلامية؛ التي شَمِلتْ أَصْقَاعًا كبيرة، من الأرض شرقًا وغربًا وبرًا وبحرًا»[2]؛ حيث أنّ المسلمين كلما دخلوا فَاتِحين، استقروا في تِلْكَ البِلاَدِ وأَخَذُوا مِن خَيراتِها، وَشَاعَ التّرفُ والغنى، وشهدت تطورًا معماريًا، وَتَوَلّدَتْ فُنُون جَدِيدَة، وَجَاءَ الأدبُ معبرًا عن هذا التغيير، وتأثرت نفسية الشعراء في تلك الفترة؛ لأنّها عرفت فتناً حول الخلافة والأراضي، هذا الأمر فرّق المسلمين بعدما توحدوا في صدر الإسلام؛ بين "سنّة وشيعَة وخَوارِج"، ومن أهمّ الأغراضِ التي فرضَت نَفسَها في هذا أسلوب **النقائض**، حاَملة معانٍ إسلامية تضمُّ أمْرَين، فخرًا بِه وهجاءً لمن حارب المسلمين؛ بأحطِّ العبارات السّاخرة[3].

إن السُّخرية اتّخذت طابعاً خاصًا في هذا العصر، بدأت تنفرد لتتأسّسَ أدبًا متميزًا، حيث «إذا انتقلنا إلى العصر الأموي، فإننا نجدُ ظروفًا استجَدتْ طبعت السّخرية بطابع خاصٍ، وأفرزت أدبًا متميزًا بمميزات خاصّة»[4]، بحيث تَحول الهجاءُ إلى نقَائض كاملة، أضحت فنًّا مستقلاً بذاته أكثر فنّية له ما يميزه، وبالنّقيضة غدَت وَسيلَة الشُّعرَاء لِلمُنَافَسَة، في رَفعِ شَأنِ كُلِّ حِزب وتَشجِيع الحُكَمَاء

(1) محمد ناصر بوحجام، المرجع السابق، ص:49.

(2) علي محمد محمد الصلابي: **عصر الدولتين الأموية والعباسية، وظهور فكر الخوارج**، دار البيارق، عمان، الأردن، ط1، 1998، ص:12.

(3) ينظر: عبد الخالق عبد الله عيسى: **السخرية في الشعر العباسي في القرنين الثاني و الثالث هجريين**، رسالة دكتواه، إشراف الأستاذ الدكتور حسين أحمد عطوان: قسم اللغة العربية و آدابها، الجامعة الأردنية، السنة الجامعية: 2003م، ص:4.

(4) محمد ناصر بوحجام: المرجع السابق، ص:51.

لهم أيضا عَامِل لتطور هذه الأخيرة، ولا أحد يتربع على عرش هذا الفن، خلاف ثلاثة شعراء، أشهر من نار على علم هم: الفرزدق والأخطل والجرير.

ولم يعرف الأدب العربي التّنوع، إلا في العصر العبّاسي، خصوصًا في فترةِ حُكم هَارُون الرَّشيد، إذْ شهدنا تطورًا علميًا بفعلِ عواملٍ، مِنهَا التّمَازُجُ الذي حصَل بيْن الحضَارَتَين الأَجنبيّة والعرَبيّة، أثَّر في مجالات الحياة كلها، شهدنا تطورا غيَّر من نموذج الأدب الواحد، إلى وجود أساليب وموضُوعات جديدة، وارتقاء العَقليّة العربيّة وازدياد نموها الثّقافي؛ أثّر في تطوُّر السُّخرية وشُيوعِهَا، انتشرَت الفَكَاهة والظرف، فظهر كتّاب مُتَميّزُون في هذا الفَن أمثال: بشَار بن برد، وأبي نواس، وحماد عجرد، وعبد الصمد بنُ المعْذل وابن الرُّومي[1]، وعليه فإنّ السُّخرية في هذا العصر، لم تعد للتّسْلِية والفَكَاهَة فقط، فقد غدَت وَسيلة تخدُم المجْتَمع، ويرجع ذلك للتّقدم العلمي، وَوَعْيِ المجتمَع العرَبي أَكْثَر من ذِي قَبْل.

وإن العصر العبَّاسِي قَدْ أرْجعَ النّظَام الطّبقي؛ الذي كان سائدًا في الجَاهِلِيَة، وَرَجَعَت فِيه التَّفرِقَة بينَ الغَنِيّ وَالفَقِير، وَشَهِدَ لهواً وطرباً ومجوناً، راجعا لتَنَوع الأجنَاس وديانَاتِهم آنذَاك، وأَشْهَر ما كُتِب في الخَمرِيَات كان مع أبي نواس، أما فيما يتعلّق بالجانب السّياسي، فحملته القِصص عَلى أَلْسِنَة الحيوانات لابن المقَفَعِ "كليلة ودمنة"؛ لكنّ السُّخرية لم تعرف فنًّا إلا مع الجَاحِظ؛ و«لم يؤلّف في السّخرية قبل الجاحظ، كتاب يرد نَوادِر المجتَمَعِ، ويَتَسَلَّل إلى أَعمَاقِه، لِيُظهِر دَخَائِلَهُ بِنَزعَةٍ فَنّيّةٍ خَالصَة»[2]، ومِثَالُ سُخرية الجاحظ لِلَّذِين يَظْهَرُون بمظهَرِ العُقَلاءِ، قال: «كَان في الكُوفَةِ امرأة رَعْنَاء يُقَالُ لها "مجيبة" فقصد "بهلولاً" فتى، كانت "مُجيبَة" أَرضَعَتهُ، فقالَ لها "بهلول": كَيفَ لا تَكُون أَرعَن وَقَدْ أَرْضَعَتْكَ مُجيبة؟ فَوالله لَقَد كَانَتْ تزق لي الفرخ، فأرى الرّعونة في طَيَرَانِه»[3]، من خلال هذا المثال نجد أنّ السُّخرية عند الجاحظ، صدرت عن تَجرُبَة وَوَعْي وَتَعَمُق فِكْرِي، صوَّر لَنا المجتَمَع آنذَاك في كلِّ جوَانِبِه، سَواء في الأدَبِ أَو الاقتِصَادِ أو السِّيَاسَة هذَا في النَّثرِ.

(1) ينظر: عبد الكريم البوغبيش: **الهجاء والسخرية في شعر ابن الرومي**، نشر في **"ديوان العرب"**،2019/03/23 (w.w.w.diwanalarab.com)

(2) السيد عبد الحليم محمد حسين، المرجع السابق، ص:93.

(3) المرجع نفسه، ص:169.

أما من ناحية الشعر، فلا نجد شاعرًا ساخرًا في العصر العَبَّاسِي، أَبْرَزُ مِن ابنِ الرُّومِي لهُ أَكثَر مِن دِيوَان، تَجَلّى فيه الهجَاء والسُّخرية بتصوير فَنِّي دقيق لعاهَات وتصَرُّفات بعضِ النَّاس، ومِن صُوَر السُّخريَة عندهُ لِشَخْصٍ يُدعَى "أَبي علي بن أبي قرّة":

«أَقِصَرٌ وَعَوَرٌ وصَلْعٌ في وَاحِدٍ ؟»[1].

وهو تعبيرٌ كاريكاتوي سَاخِر، يَرمِيه بِأَشْنَع العِبَارَات وكأنّه دَجّال وليسَ إِنسَان.

من خلال ما سبق كلّه، نرى أنّ السّخرية في هذا العصر، بَدَأت تَتَأَسّسُ وَتَنفَرِدُ، بكونها أسلوباً ليس مصنفاً للهجاء فقط، وأيضاً بكَونِها طَرِيقَة صَورَت حَال العَصر، واقترَبَت مِن أَحَاديثِ النَّاسِ، في المعَاني والألفَاظ والصيَّاغَة، مِمَّا أعطَاها لوناً شعبياً أقرَبٌ إلى لُغَتِهم العاديّة[2].

بعد الازدهار الذي عرفه العصر العباسي، بفعل عامل الاتّساع الجغْرَافِي، والانفِتَاح على الشّعُوب، كَان كَذَلِك عاملاً، سَاهَم في سُقُوط الدّولَة العَبّاسِية، فقد تولّى الفُرس القيَادَة مِنَ العَرَب، وسعوا خراباً فيها، ومنها كانَت نهاية لعصرٍ، وبدايةً للعهد المملوكي والعثماني، شهد هذا العصر تقلباتٍ وتغيراتٍ مسّت عدّة مجالات، مما أدّى إلى تحولاتٍ هامةٍ في مناحي الحياة، فاختلطت القيم وتَزَعزَعت المعْتَقَدَات والمبَادئ، ويرجع ذَلِكَ كُلّه لسِيَاسَة الأَتراك؛ التي طُبِقَّت عَلى البُلدَان العَرَبية، فَنَطَق لِسَان العَرَب وَهُم شُعَرَاؤُهَا، وَاصِفِين أَوضَاعَهُم بِأُسْلُوب ساخرٍ، يضربون به سَلَاطين الأتراك الظّالمين، فقد وجد الشعراء في السخرية تنفيسا لأنفسهم؛ لكنّ سُخريتَهُم كانَت تلبية لدافعٍ ذاتي، وليسَ في هذا العَصْرِ فقط، فَمُنْذ الجَاهِلية اصطَبَغَت بالطابع الذاتي (الفردي) [3].

(1) علي بن العباس بن جريج ابن الرومي: **ديوان ابن الرومي**، شرح/أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مج1، ط3، 1423ه/2002م، ص:498.

(2) ينظر: محمد ناصر بوحجام، المرجع السابق، ص:63.

(3) ينظر: محمد صالح شريف العسكري: **سخرية الماغوط في العصفور الأحدب**، مجلة دراسات في اللغة، وآدابها، (د،مج)، ع08، 2012، ص:57.

ونستنتَج مما سَبق أنّ السّخرية، منذ الجاهلية إلى العهْد المملوُكي والعثمَاني، خدَمَت أنَا قَائِلِها فقط، بهدَف التّنفِيس عَن النّفْس، والتّروِيح عن القَلبِ أو الانتِقَام والتّشفي، أَكثَر مِمّا هَدَفَت إلى الإصلاَح والتّوجِيه والتّغيير، باستِثْناء أَعمَال الجَاحِظ[1].

شَهِدَ العَالمَ العَربي تغَيّرات عَدِيدة، تصبُ كلّها في الجانِب المظْلِم، بَعدَما كَانَ في القِمّة مُسَيْطِرًا عَلى العَالم كُلّه، انْقَلَب فِي العصْر الحَديثِ مقيّدًا، ومحكوماً بِسُلطة غَربية، سَادَ الظُّلم وانتشَرت الحروبُ والفتنُ، وتلونت الجرائدُ بأحداثٍ تهز الرّأي العام، ضَاقَت صدُور النّاس، واخْتَنقَت أَنفُسَهُم من وَاقِع الفَسَاد، لاَ سُلطَة عَادِلَة ولاَ سِيَاسَة صَادِقَة، شَكّلَت هِذِه التَّحوُلات مادَّة احتَواهَا الأَدَب السَّاخِر، هذا ما قاله حسين الرّاوِي، مترجماً حَالَة الكَاتِب العَرَبي السّاخر قائلاً: «سَاهَمت الأَنْظِمَة العَرَبية القَمْعِية (...) في ظُهُورِ الكِتَابَة السّاخرة، ولا مُبَالَغة لَو قُلت أنَّ كَاتباً عربياً واحدًا يَكتُب السّخرية الحَقِيقِية، يَعدُل كلّ كُتّاب أُوروبَا السَّاخِرين»[2]، حيثُ لَمْ يَجد هَؤُلاءِ، أَنسَب طَرِيقَة مِن السّخرية، للتَخْفِيف عَن مَرَارَتِهم، بالإِضَافَة إِلى مُعالجَة تِلكَ الآلاَم؛ بتوجِيه أَلسِنتِهِم ضدّ مَن أَكَلُوا لحُومهُم منَ الذِّئَابِ البَشَرِيَة.

ويمكن القول إنّ السّخرية في العصَر الحدِيث، أَخَذَت مَرجِعيَاتِها مِنَ العَصرِ العَبّاسِي بِالأَخَص معَ الجَاحِظ، وَتَطورَت معَ ثُلّة من الأُدَباء المحدَثِين أَمثَال: **أَحْمَد مطر** العِرَاقي؛ الذِي نَاشَد الحُرّية ودَعا إلى إصلاحِ المجتَمَع قائلاً:

«فَصُودِرَتْ حُنجُرَتِي بجُرْمِ قِلَّةِ الأَدَبْ»[3].

هذا بيت واحد فقط من القصيدة ككل، قصف فيها السّاسَة العَرب؛ الذينَ كبَّلوا أَفْوَاه الحَقّ؛ وهُو واحد مِمَن صُودِرَت حُنجُرَته، وكلّ مَن يَسْعَى لِتَوعِيَة المجتَمع، قَطَعُوا لَه تَذكِرة لِلوَاحِدِ الأَحَد،حتّى الإِعلاَم فَقَد مصدَاقِيته، وغدَت الصّحَافَة تمَشِي عَلى هَوى السّلطة.

(1) ينظر: محمد ناصر بوحجام، المرجع السابق، ص:70.

(2) باقر الفظي: **السخرية والأدب الساخر**، **الحوار المتمدن**، نشر يوم 2019/03/07 (w.w.w.m.abe war.org)

(3) شمس واقف زاده: **الأدب الساخر أنواه وتطوره مدى العصور**، (د،د)، (د،ط)، (د،ت)،ص:120 . (shagkefzadek.@.iaw/varmin.a.c.in)

إنّ السّخرية في العَصرِ الحَدِيث قَدْ خَرَجَت عَن الهِجَاء، بِكَونِها مَرحَلة مُتَطَورة عنه؛ وَهِي الآن فنٌّ مستقلٌ، تَخدم المجتمع وتقومه، على خِلاف ما كانت في القَديم فَردَية فَقط، تُعَالج أيّ موضوع في أي مجالٍ، موظفة التّورِية والكِنَاية والاستِعَارة، تَنْطلِق مِن مُفَارَقَة الخِطَاب لخَلقِ ازدِوَاجِيّة في المعاني[1].

([1]) ينظر: محمد ناصر بوحجام: المرجع السابق، ص:74.

المطلب الثاني: السّخرية في الأدب الجزائري خاصةً

ذَاقَت الجَزائِر مِثلهَا مِثل غَيرِها، مِن الدُّولِ العَرَبية المرَارَة، بِسَبَبِ الاستِعمَارِ الفَرَنسِي؛ الذِي لَمْ يَكتَف بالاسْتيلاَء عَلى الأَرضِ فَقَط، بِقَدر مَا رَاح يَستعْبِد شَعبَها، وَوَضعَ الثّقَافَة الجَزَائِرِيّة، في وَضع أعَاقَ فَاعِلِيَتَه، فَرَاحَ رُوَاد الاتِجَاه الإصلاَحِي، يكتبُون نثرًا وشعرًا، يُرمّيمُون مَا فَعَلَه المسْتَخرِب، واتّخَذُوا مِن السّخرِيَة وَسيلَة للإصلاَح والتَّغيير والتَّقوِيم، إلاّ هَذِه الأَخِيرة في بِدَايَاتها كَانَت بَسيطَة، عَلى حدِّ قَوْل نَاصِر بُوحَجَام: «لَمْ يَخل الأَدَب الجَزائِري قَبْل سنة 1925م مِنَ السّخرِية والتّهكُم، غَيرَ أنّها كَانَت بَسيطَة سَاذَجَة فِي عُمُومِها، تَفتَقِر إلى الشُّرُوط التي تَرقَى بِها، إلى المسْتَوى المطْلُوب فَنّيًا»[1]، وَبَعدَما نَجحَت جَمعِيَة عُلَمَاء المسْلِمِين بالنُّهُوض بالمجتمع الجَزَائِري، بَدَأتِ تَنمُو السُّخرِية، واستَوفَت بَعضًا مِن شُرُوطِهَا الفَنيّة.

وأَخَذَت المقَالَة النّصِيبَ الأَكْبَر، مِن هَذِه النّمَاذِج السَّاخِرة، عَلى خِلاف الشّعر، و«السّخرِية في الشِعرِ كَانت أَقلّ حَظًّا مما توفَر للمَقَالَة، بَل كَانَت في الشّعرِ شبه مُنعَدمة (...)، ويَرجِع هَذَا إلى الحَالَة التّي كَانَ عَليهَا الأَدَب في تِلكَ، الفَترَة ركودٌ وجمودٌ في الأَدَب»[2]، وكانَت المقَالة تَقتَرب من فَنّ المقَامَة في أسلُوبها، عَالجَت الوَضع الاجتِمَاعِي، وَعُدّت صُورَة مُصَغّرة، تصِف وَيلاتِ الاستِعمَار، تَمزج المرَارة بالنّادِرة والنّكتَة، لَيسَ مِن أَجلِ الضّحِك بل للإصلاح.

وتعَد روَاية "الحِمَار الذّهبي" **لأَبُولْيُوس**، أوّل عملٍ أدبيٍّ ساخرٍ، بالإضافة إلى أعمالٍ أخرى "كمنامات" **الوهْراني**، وجَرائِد تَضَمَنت إنتاجاتٍ أَدَبِية سَاخرة وهي: مجَلّة البصَائِر_ جَرِيدَة كَوكَب إفريقيَا، تَحتَوي نُصوصًا تَهكُميّة وسَاخِرة منَ الاستعمَار، وَمن الأسمَاء التي اشتَغَلت عَلى هَذَا الجَانِب كُلٌ من: **الأَمِين العُمُودي** و**مُفدِي زَكَريا** و**البَشِير الإبرَاهِيمِي**، هَذَا يدّل عَلى أنّ السّخرية، كَانَت وَسيلَة مُقَاوَمَة مُهِمة وَفَتَاكَة، وَبَعْدَ الاسْتِقلاَل اشْتَهَرت أَسمَاء أُخرى: **كالسّائِحي الكبِير** و**أَبو العِيد دُودُو**، وحالياً لمعَت نُجوم جَدِيدَة أمثال: **عمّار يَزْلي** و**شَوقِي عَمّار**، بالاضافَة إلى الصّحُف التي

(1) محمد ناصر بوحجام، المرجع السابق، ص:74.

(2) المرجع نفسه، ص:79.

تبنّت خُطى ساَخِرة مثل: تجربة **الصّح آفَة** و**أَلْوَان**، وَمَعَ ذَلِك هُنَاكَ تراجعٌ رهيبٌ، في هَذَا النّوع مِن الكِتَابَة، حَيثُ فَسَحَ المجَال للكِتَابَات السَّوداَء والدّاعِشيّة، ممّا شكّل مخيّلة سوداويّة للمواطِن[1].

وكل هذه الإنجَازَات، ظَهَرت في العَصر الحَديث بِفِعْل عَوامِل؛ مِنهَا الضّغْط السّيَاسِي الاسْتِعمَارِي عَلى الشّعب، من قهرٍ وحرقٍ ونفيٍ، وهذَا العَامل أدّى إلى تَرَدّي الأَوضَاع، وَظُهُور آفَات اجتِمَاعِية ودِينيّة في المجتَمَع، فَجَاءَت السّخرية وَسيلَة لِلمُعَالجَة؛ وحتّى وَإن كَانَت سَاذَجَة سَاهَمَت وَلَو بقليلٍ في الإصلاَح، وأيضًا الصّرَاع الفِكرِي الذِي دَارَ بينَ المثَقّفِين، اتّخَذوا مِثل العُصور الأُولى، كلّ حزبٍ يهجوا الآخر استهزاءًا به[2].

لكِن بالرّغم من كلّ هذِه الأعمَال السّاخرة، إلا أنّنا في العَصر المعَاصِر، نَجِد القلّة مَن يمَارسُها، نظرًا لِطَبيعَة شَخصيّة الجَزَائِري، الشّبيهَة بِتركِيبَة الرّجُل الجَاهِلي؛ لأنّ مَا شَهِدُوه مِن فَرَنْسَا، لا يُنسَى في لحظَات، زَرَعَ أثرًا تشرَّبَهُ الأَجدَاد، فَحَصَدَهُ الأَحفَاد، نَفْسِيّة مُتَوَتّرَة قَلِقَة، والسّخْرِيَة تَتَطَلَبُ التّركِيز والهدُوء، فَأَمثَال الإبرَاهِيمِي قد انقرضُوا، وَليَتَأسّس هَذَا الفَن، ويُسَجّل حُضورَه في السّاحَة الأَدَبِيّة الجزائريّة، لابدّ أَنْ يَتَشَرّب مِنْ خَلْفِيَاتٍ مَعرِفِيّةٍ عدّة، حتّى نُنتِجَ أَعمالاً بِهَذَا الطّابِع.

(1) ينظر: أمال مرابطي، سعيد بن زرقة: **المجتمع الذي لا يضحك مجتمع معرض للهزات النفسية**، جريدة الشعب، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، ع16854، 2015، ص:13.

(2) ينظر: محمد ناصر بوحجام، المرجع السابق، ص_ص: 83-90.

المطلب الثالث: موضوعات السخرية في المدونة.

أَضحَت السّخرية ثوبًا لكُلّ موضوع سَاخِر، خصوصًا الموضوعَات التي تَهزّ الرّأي العَام، وتُركّزُ عَلى جَوَانب الشّقَاء قبَل الرّخَاء، وُجدَت للنّقد والإصلاَح، سلاحًا يوجّه الفسَاد؛ لأجْل المحافَظَة عَلى المجتَمَع وأَفرَادِه، في مَجالاتِه (الاجتمَاعِية _الأخْلاقِية _السّيَاسِيّة).

إنّ في مَجَال الطّب؛ لِعِلاجِ أيّ داءٍ يأتي بمضَادِه، كَذَلِكَ لِعلاَجِ الأَلمَ وجِد الضَّحِك، فالسّخرِية مِن النَاحِية الأَخلاَقِيّة كَانَت تِلكَ البَرِيقَ الإلهَي الذِي يَكشِف اللّبس الخُلقِي، تكُون فيه السّخرية وَسِيلَة قَيْد تَكْبَح المسَلّمَات[1]، والسّخريَة الأخلاَقِيّة في المدوّنة "نجوم ورجوم"، تتحدّد موضوعاتها بين: (الانحرَاف الدّيني لأهل الذّكر والبَلاَغ_القُصُور العَقلِي_ الجحُود ونُكرَان الجَميْل_ البَلادَة والإهمَال_الخِيَانَة_النّفاق_التّناقض)، تطرّق الكَاتِب لهَذِه الموضُوعَات، قَصدَ تَقوِيم المجتَمَع، وتِبيَان الصّحيح من الخَاطِئ، يروض النّفس لتَستَقِيم، و تَكفّ عن الخراب؛ للنُّهوضِ بالأمّة التي شعارها:"إنّما الأُمَمُ أَخلاَقُ مَا بَقِيّت".

أمّا منَ النّاحيَة الاجتِمَاعِيّة، فَجَاءَت السّخرِيَة السّيف المسَلّط، وُضِع كحدٍ على رِقَابِ مُخترقي القَوَانِين وَمَبَادِئ الجَمَاعَة[2]، تُعَبّر بِطُرق غَيرَ مُبَاشِرَة، عَن قُدرَة المجتَمَع في مُقَاوَمَة الآفات، تَسُد طَرِيقَ كلّ شَعبٍ عَن التقَدّم، فَالسّاخِر «يَرصدُ و يُراقِب ما يَجرِي مِن أَخطَاء، وَيستَخدِمُ وَسَائِل وأَسَالِيب خَاصّة، في التّهَكُم عَلَيهَا أَو التّقلِيل مِن قَدرِهَا (...) يَقصِد مِن وَرَائِهَا مُحَاوَلَة التخَلّص مِن بَعضِ الخِصَالِ السّلبِيّة في المجتَمَع»[3]؛ تَعَددَت مَوضُوعَات السّخرية الاجتماعية في المدوّنة مَا بَين: "الجَهْل _الحُرّية _الفَسَاد _اللُّغة _نَقْد الأَوْضاَع الاجتِمَاعِية مِن عَادَات وَتقَالِيد _ الصّرَاع بَينَ المذَاهِب"، ونَجِد أنّ الكَاتِب رَكّز عَلى أَهمّ المواضِيع الحَسّاسَة؛ التي بِسبَبِهَا تَقُوم الحُرُوب الأَهلِية وَالقَومِية، وَتُنقِص مِن وَعي المجتمَعَات، و لذلك اتّخَذ من السّخرية، وَسيلَة تحَارب مَواطِن الفَسَاد في المجتَمَع.

---

(1) ينظر: عبد الله إبراهيم: **السخرية**، جريدة **الرياض**، ع 17134، 2019/03/23، (www.alriyadh.com)

(2) ينظر: آصف دريباتي: **السخرية في شعر نديم محمد**، دار جنان لنشر والتوزيع، (د،ط)، بيروت، 2016، ص:21.

(3) مرية ريمة غربي: **التشكيل الأسلوبي لظاهرة السخرية عند البشير الإبراهيمي " وحي البصائر أنموذجا"**،مجلة العلوم الإنسانية، كلية الآداب واللغات، جامعة العربي بن مهيدي "أم البواقي"، الجزائر، مج أ، ع41، 2014،ص:255.

وأَمّا مِن أَهمّ المواضِيع؛ التي نظَرَت لهَا السّخرِية عند الأدباء؛ فهِي المَواضِيع السّياسِية، أَبدَعُوا وتَفَنّنوا فِيها كَمَا لاَحَظنَا سَابقًا، خُصوصًا العَصر الأَمَوي اتّخذُوا مِنها وَسِيلَة تَصَدّي، وَتَطَوَرت في العَصرِ الحَدِيث بِفعْل الصّحافَة والإِعلام.

عَبّرت السّخرية السّيَاسِية عَن الواقِع المرِير؛ من استعمارٍ وزعزعةٍ للأَنظِمَة، وَخُروقَات الحُكّام لِلقَوانِين تَستَقطِب تَحرَكَاتهم، إنّ الخَوضَ في الأُسلُوب السّاخِر، كلّف حَيَاة الكَثِير مِن الصحِفيّين وَ الأُدَبَاء، لِذَلِك نَجِد القلّة مَن يُغَامِر بِنَفسِه فداءً للحقّ، عَلى غِرَار الغَربِ، يسمح به و لايحاكم أيّ أحد منهم، حتّى وَإنْ تَطَاوَل عَلى الرّئيس، فَذَلِك يَدخُل عِندَهُم ضِمنَ حُرِيّة التّعبِير؛ فَهِي: «قَولُ مَا لاَ يُقَال في شَكْل نَقدِي تقنَّع بِقِنَاع السّخرِية و التّهَكُم»[1]، وَمِن مَوضُوعَات السّخرِية السّيَاسة في المدَوّنة نَذكُر: "انحِرَاف رِجَال الحُكُومَة _ السّيَاسَة المستَعمَلَة عَلى البُنيَة التّحتِيَة _ نَقد تَصرُفات البَرلمانِيين _ فَضح سِيَاسَة الاستِعمَار في الجَزائِر _ السّيَاسَة الصُهيُونِيَة"، أخذ فِيهَا الكَاتِب، دَورَ الجَلادِ لِرؤُوس الفَسَادِ في الجَزَائِر خاصّةً.

فئات الموضوعات	التكرار	النسبة
السياسية	28	%62.22
الاجتماعية	09	%20
الأخلاقية	08	%17.78
المجموع	45	%100

جدول(1): فئات الموضوعات في المدونة

(1) حياة هروال: **السخرية...النسق المضمر/ المعلن في قصيدة اليومي الجزائرية، مقاربة ثقافية في قصيدة التسعينيات**، مجلة إشكالات، جامعة محمد الصديق بن يحي،جيجل، الجزائر، مج6، ع3، 2017، ص:108.

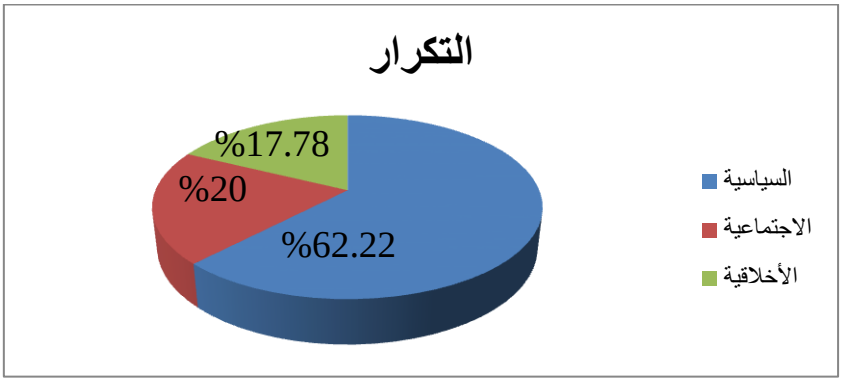

شكل رقم (2): الدائرة النسبية لفئات الموضوعات.

مِن خِلاَل هَذِه الدّائِرة النِّسبِية، نُلاحِظ أنّ الموضوعَات السّيَاسِيّة، تَحتَل الصّدَارَة بِنسبَة 62.22%، وَمَضَامِينُها تُرجِعُنا إِلى حِقبَة الاستِدمار الفَرنسِي، كلّما تحدّث الكَاتِب عَن السّيَاسَة في الجَزَائِر، إلا وَرَبَطَها بالمستَعمر؛ الذي وَضَع الثّقَافَة الجَزَائِرية، في وَضعٍ أَعَاقَ فَاعِلِيتَه، وَلَولَا جُهود جَمعِيَة العُلَمَاء المسْلِمين، لما عرفت الجَزائِر نهضَةً هَذا مِن نَاحِية، وَمَن ناحية أخرى كذلك، تحدّث فِيدَا عَن قَضَايَا العَرب وَالمسلِمِين، وصِرَاعهم مَع الصّهَاينَة، أَعدَاء جَمِيع الأُمَم، فَكُلّ مَا يَحدُث في الوَطَن العَرَبي، مِن فِتن وتفرقات بِسَبَبِهِم، دعا الكاتب لِلتفَطُّن المجتمع لهذه المكائد؛ حتّى يدرِكَ ما يجري حَولَه، و أيضا حارب الرؤُوس الحَاكِمَة؛ التي تَدعَم هِذِه السّيَاسَة النّكرَاء.

وقَد حَصَلَت الموضوعَات الاجتِمَاعِية عَلى نِسبَة 20%، فالكَاتِب قَبلَ أَن يَكونَ كَاتِبًا، هُو جزء من المجتَمَع يتأثَّر ويؤثِّر، سعى جاهدًا ليُسَلِط الضّوءَ، عَلى القَضَايا المهِمَة في المجتَمَع، يَدرُسُها هَادِفًا إلى التّغيير نحْو الأَحسَن.

أمّا الموضُوعات الأخلاقِية (الدينية) بِنسبَة 17.78%؛ فالكَاتِب يُخاطِب بأسلُوب البَيَان والبَدِيع راشدًا مَن حَولَه؛ يَهدِف لِتَأسِيس قَاعِدة لِبنَاء المجتمَعَات أَكثَر أَخلاقًا، تَقُوم عَلى المبَادِئ الشّرعِية، التي هِي جَوهَر صَلاَح المجتَمَع، والدّرع الوَاقي مِن المسَبِبَات المؤَدِية لانهِيَارِه.

وما نلاحِظه أَنّ الكَاتِب، حتّى وَإن تَحَدَث في مَوضُوع أَخلاَقِي أَو اجتِمَاعِي، إلا وَأَورَد مَا بَينَ السّطُور بُعدًا سِياسيًا، وَهذَا رَاجِع إِلى أنّ السّيَاسَة، تواجَدَت في كلّ المجالات، وكلّ هذِه المَوَاضِيع عَرضَها بِأسلُوبٍ سَاخِر، فيسمّى بذلك: "جاحظ الجزائر".

المبحث الثاني :
المظاهر الأسلوبية لتجلي السخرية في مدونة "نجوم ورجوم"

استَعمَل الكَاتِب العَدِيدَ منَ الأسَاليبِ لِغَرضِ السّخرية والتّهكم، تجعَل هذِه الأسَاليب مِن النّص أكثَر انفتاحًا عَلى الدّلالات في التّأويل، وَجد الكَاتِب فيهَا مَنحَى لِيقدّم صُورَة عن الوَاقع، في مجَالاَتِه "الاجتماعيّة والسّياسيّة والثّقافيّة"، هذَا المحيط الذي يَكثُر فيه الاختلافَات والصّراعات والتعارضات، شكّل مادّة دسِمة يَبني عَلَيهَا مَقَالاته، التي تَقُوم عَلى جَدَلِيات، بَينَ التّناقُض والتّضَاد، وهَذا أَسَاس المفَارَقة.

وارتبَط مُصطَلح المفَارَقة بالعُدُول في البَلاغَة والشّذُوذ في النّحو، حتّى و إنْ لم يُذكَر مُصطَلح المفَارَقة بهذِه التّسمِية، إلا أَنّنا وَجدنَا مَا يُقَابِله في التّرَاث العَرَبِي، وَهُو مُصطَلح "التّهكُم" عرف بأنه: «إخراَج الكَلام عَلى ضدّ مُقتَضَى الحَال»[1]، عَلى خِلافِ الغَرب فَقد ذُكرت في الجُمهُورِية الأفلاطُونية، فمِن النّاحِية اللّغوية للتعرِيف بالمفَارَقَة: جَاء في مُعجَم الوَجِيز: «فَارَقَهُ مفارقةً وفرقاً يباعده فرَّق بين القوم أحدث بينهم فرقة، فَرَّقَ القاضي بين الزوجين حكم بالفرقة بينهما»[2]، فهو يدل على الاختلاف والبعد والتَّميز، والانفصال عن الآخر، أما من الناحية الاصطلاحية، «تعد أسلوبًا بلاغيًا عالي التّقنية، أساسه عرض وجهَتي نَظر متعَادِلَتين مُتَعَارِضَتين مُتَضَادّتَين، بَينَ مَفهُوم عَام شَائِع وآخر ذَاتي فِكرِي، وكلّما اشتدّ التّضَاد بَينَهُما بَرزَت المفَارَقَة»[3]، وَيصحَب هذَا الأسلُوب الجَمَالِية في التّعبِير؛ التِي تجذُب أُذن القَارئ والتّلغِيز في القَول؛ الذي يَستفِزه حتّى يَكسِر الدّلالَة السّطحية إلى مَعنَى المعنَى، وَأُشِير إلى أنّ البَحث هذا، ليسَ مُهَمَته الغَور في المفَارَقة وَمَاهِيتُها، وَإنّما المرَاد أَن نَكشِف بهَا الأَسَالِيب التي استَعمَلَها الكَاتِب للسّخرية.

(1) محمد العبد: **المفارقة القرآنية "دراسة في بنية الدلالة"**، دار الفكر العربي، مصر، ط1، 1994، ص:23.

(2) مجمع اللغة العربية: **المعجم الوجيز**، بيروت، (د،ط)، 1994، ص:469.

(3) محمد سالم قريمدة: **مصطلح المفارقة والتراث البلاغي العربي القديم**، مجلة جامعة الزاوية اللّيبية، مج1، ع16، 2014، ص:78.

المطلب الأول: مفارقة العنوان

يحقق العنوان التّواصل والتّفاعل بينَه وبَين القَارئ، وقَد أعطَت الدّراسَات النّقدِية الحَديثة اهتمامًا كبيرًا لَه، خصوصًا السّرديَات تَحتَ مَا يُسَمى "العَتَبَة النّصِية"، كُل شَيء في الحَيَاة لَه مِفتَاحَه وَسِره،كَذَلِك النّص لَا يَفهَم إلا إذا فكَّ مفتَاحَه (العنوان)، وَهو يَحمِل نِصفَ الدّلالَة التي يَقصِدُها الكَاتِب، فَأهَم مَا يَلفِت الانتبَاه في المقَالة الصحفِية عنوانها؛ الذي يَستَقطب عامّة النّاس، حَتى يَعرِفوا مَاذَا تَحمِل من سر، فَقَد أَجَاد الكَاتِب في مَقَالاتِه صيَاغَة العَنَاوين، واضعاً بصمتَه السّاخِرة، وَقد اخترتُ سَبعَة عَنَاوين وهي: "المرَض المنتِج، وَجه وَقنَاع، بَرَادِع الانجليز، فِرعَون يحتَج، ذكُورة ورجُولَة، جَنَازة أَدَبية، إبلِيس ولا إدرِيس"؛ تَتَجَلّى فيهِم دَلالَتَان لِعِبارَة واحِدَة، وهي: « مَا يَكونُ مُفَارَقَة تَورِيَة وَ هِي تَعنِي: انزِيَاح دَاخِلي، تَتَأسّس قَاعِدَته المعيَارِية في النّفس عَلى هَيئَة نَسق مُميّز، ثُم يَتَلاشَى النّسق لِيظهِر نَسَق آخر يُفارقه في خصائصِه الصّوتية، أو التّركيبة أو الدّلالية»[1].

فَجلّ العَنَاوين في موضوعَات المدَونَة، تَنَاوَلت السّخرية السّياسيّة، تَتَصَدّرها السّياسة الفَرنسِية ثُمّ الصُهيُونية، وَتَليهَا مَوضوعَات السّخرية الأَخلَاقِية، مِن نفاقٍ وتناقضٍ وانحرافٍ، كلّ هذِه الآفَات تَصُب في الدّائِرة الاجتمَاعِية، وَقَد صنفت العناوين حَسَب موضوعاتها:

I)– السخرية السياسية:

1- السياسة الفرنسية:

فخَر الكَاتِب بالأَبطَال؛ الذين ضَحوا مِن أَجلِ رَدعِ السّيَاسَة الفَرنسِية، فَوضَع عَنَاوِين رَمزِية، مَضَامِينَها تَكشِف حَقارَة هذِه السّياسَة، وَتسخَر مِنهَا، بالكَشفِ عَن أعمَالها المشِينَة وَإفحَامِها؛ هي ومَن سَاهَم في ذَلِك مِن خَوَنة البِلاد، و يتجلى ذلك في مجموعة من العناوين اخترت منها:" المرض المنتج_وجه وقناع".

(1) محمد سالم قريمدة، المرجع السابق، ص:77.

أ)– المَرَضُ المُنْتِج[1] :

عِند الوَهلَة الأولى لِقِرَاءة هَذَا العنوَان، نَجِد الكَاتِب أَسنَد صِفَة غَيرَ متَطَابِقَة مَع الموصُوف، انزَاحَت عَمّا اعتِدنَا عَلَيهَا، فَغَرَابة العُنوان أَدخَلَت القَارئ في حِيرَة مَا يَقصِده، ونجِده مِن النّاحِية التّركيبِية جملَة اسمِيّة تَمتِاز بالقصرِ، تَتَكوّن مِن وحدَات دَلالِية هِي كالتالي :

المـــرض / المنتج.
مسند إليه / مسند.

الظّاهرة التي أَثَارَت القَارِئ، عَملِية الاختِيَار فَهي: «مُكَون أَسَاسِي مِن مكَونَات عَمَلِية التّشكِيل الأسلُوبي، وَهي في جَوهَرِها اختِيار شَكل تَعبِيري وَاحِد مِن بَين مَجمُوعة بَدَائِل متاحة»[2]، اعتدنا الإنتاج يكُون دائمًا، أو في أغلَب للأمُور الإيجابية، عَلى سَبِيل المثَال: في شَيء مِن الطّبيعَة كالزّرَاعَة أو إنتَاج ثَروَة حَيوانِيّة، فَالإنتَاج مِن: «نَتَجَ، النِّتَاجُ : اسم بجمع وضع جميع البهائم، قال بعضهم: هو في الناقة والفرس (...) وقيل : النتاج في جميع الدواب»[3]، وكَذَلِك المنتج يَكون شخصًا مَسؤُولاً، فَهو لاَ يَكُون دَاء؛ لِكن هَذِه الصّفة اقتَرَنت باسمِ المرَض، فالنّاس تُزِيل الأَمرَاض وَتحَارِبها، لاَ تَستَورِدهَا وتنتِجها، لَو استَبدَلنا لَفظَة (منتج = بمعدي) لتُقبِّل الأَمر؛ لَكِن استعمِلَت لَفظَة (منتج)، في غَير مَكَانِها أحدَث تَنَافرًا دلاليًا، أَدّى إلى الغُمُوض، وَجذَب القَارئ لِلوصُول إلى كُنهِه، فَجَمَع المؤلِف بَين (السلب" المرض") و(الإيجاب "المنتج")، وشكّل بذلك مُعَادَلَة جَدِيدَة؛ لِيَخلُق مَعنَى فَاقَ بِه المنطِق إلى اللامَنطِق، وَهو مَا يُطلَق عَليه **بالانزِيَاح** (الدلالي) فَهو: «خُرُوج التّعبِير عَن السَّائد أَو المتَعَارَفِ عَلَيهِ قِيَاسًا فِي الاستِعمَال رؤية ولغةً وصياغةً وتركيبًا»[4].

وَعِندَ الخَوضِ في الدّلالَة العَميقَة، لهذَا العُنوان نَجِده مُنَاسبًا للموضوع، فعِندَما قَالَ (المرض)، لابدّ أنّه متجسّد في شَخصٍ مَا، يَقوم بِفعل الإنتَاج وَلَيسَ المرض، إذْ حذِف المشَبَه بِه (الشيخ البشير

(1) ينظر: محمد الهادي الحسني: **نجوم ورجوم**، دار الصحافة فريد زويوش "القبّة"، الجزائر، ط1، 2012، ص:13.

(2) عمر عبد الله عنبر، محمد حسن العواد: **الأسلوبيـــة وطرق قراءة النص الأدبـــي**، مجلة الجامعة الأردنية، مـــج41، ع2، 2014 ص:438.

(3) ابن منظور: **لسان العرب**، تح/ عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مج2، ط2، 2009، ص:410.

(4) نعيم اليافي: **أطياف الوجه الواحد دراسة نقدية في النظرية والتطبيق**، مطبعة اتحاد كتاب العرب، ط1،1997، ص:92.

الإبراهيمي)، وَتَرك صِفَة لازَمَته في تِلكَ الفَترَة هُو المرَض، وَهَذَا عَلى سَبِيل الاستِعَارَة المكنِية وَهِي: «مَا حذِف فِيها المشَبه بِه أَو المستَعَار مِنه، وَرمز لَه بِشَيء مِن لَوَازِمه»[1]، فالإبرَاهِيمي في أَوَاخِر أَيَامِه، رَغمَ تَكَالبِ المرَض علَيه، وَضغطِ الفَرَنسِيين، إلا أنّه وَاصَلَ إرسَال الصواعِق، عَبر مَقَالاتِه وَأَشعارِه؛ لمقَاوَمة سِيَاسَة المستَعمَر؛ التي تَدعُو لِلقَمعِ والسّجنِ والتّغرِيم، وَمحَارَبَة الثّقَافَة الجَزَائِرِيّة، رَجُل سلَّ قَلَمَه في وَجْه العَدو، وَأعطَى بِه مِثَالًا لمثَقَف يُنَافِح عَن بَلَدِه، سَاخرًا مِن الرّجَال؛ الذِينَ يَدّعون الوَطَنِيّة وَلَا وَطَنِيّة لهُم، قَالَ عَنهُم بِأسلُوب القُرآن: «كَأَنّهُم خُشُب مُسَنّدة، تَسحبُهم أَيقَاظًا وَهُم رُقُود، فَلَم نَسمَع لهَم هَمسًا وَلَا نَقرَأ لَهم حَرفًا»[2]، فَقد اتّخَذ مِن التّبكِيت أسلُوبًا لَه في السّخرِية، وَمِن مميّزَات هَذَا الأسلُوب "الإشَارَة"، وَتَكمُن هُنا في قِصّة الشّيخ البَشِير الإبرَاهِيمِي، حتّى يفحِم بِه المخَاطَب، وَيكشِف السّيَاسِيين عَن زَيفِ مَا يَدّعُون بالحُجّة؛ التي تَجَلّت في كَونِ الشّيخ مَريضًا، ولَكنْ أَفضَل مِنهُم، يَتَمَتَعُون بالعَافِية، وَلا شَيء يُنتِجُونَه سِوى العَدَم، فالإعَاقَة هُنَا هِي إعَاقَة الذّهن، وَليسَت إعَاقَة الجسَد.

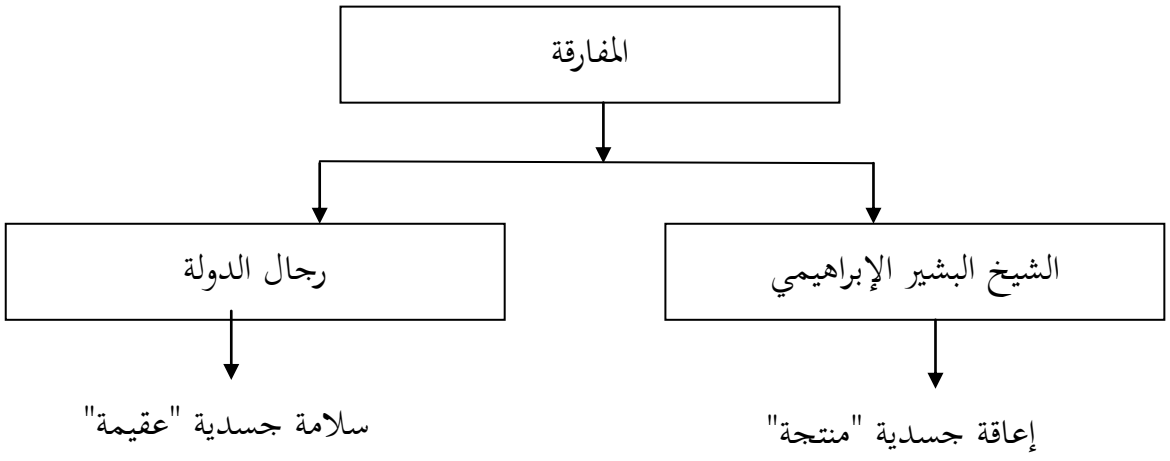

مخطط رقم(3): يوضّح المفارقة في عنوان المرض المنتج

(1) عبد العزيز عتيق: **علم البيان**، دار النهضة العربية، بيروت، (د،ط)، 1985، ص:176.

(2) محمد الهادي الحسني: المرجع السابق، ص:16.

ب)– وَجه وَقِنَاع[1]:

جملة اسمية جَاء فِيهَا (قناع)، مَعطُوف عَلى (وجه)، كِلتَا اللّفظَتَين نَكِرَة، لم تَسبِقهُمَا لَا (ال) التّعرِيف وَلَا (ضمير)، يَعُود عَلى شَخص مَا، إنّ الاختِلَاف طَبيعَة إنسَانِية بَينَ البَشَر، حَتّى في الإنسَان الوَاحِد، فَسَرِيرَته شَيء وَمظهَره شَيء، وَلَيسَ بالضَّرورَة أَن تَكونَ الرّوح نَقيّة، إنّ القِنَاع يَرَاه الكلّ، وَبدِيهِي فَهمه حَسبَ الدّور المتَقَمَص؛ لَكِن الاختِلاَف في الوَجهِ الأَصَح؛ الذِي يَخفِي حَقِيقَة الشَيء لِغَايَة مَا، يَقصِدهَا فَاعِل الأَمرِ لِنفسِه، إنّ المفهُوم الأَول المتّخَذ لِقِرَاءَة العنوان؛ تَظنّ أنّ الكَاتب تحدّث عن النّفاق أو التّنَاقض بِشكل عَام، وَوَراء هَذا المفهُوم الفِكرِي الشّائِع، حَقِيقَة تُعقَل في ذَاتِيَّة الكَاتب، التي استَفَزتها وَقَفَات مولُود معَمرِي[*] ، أَهَمّها أنّ اللّغة الفرنسيّة أدَاة لِلتّحرر، فَمَتى كَانت الحُرِيّة باللّغات؟ أَو كَانَت اللّغَات قَيد شَعبٍ مَا، إنّ الحريّة في الحَقيقَة هِي التّعبير، وَقَول الحقّ والعَيشِ بِسلاَم، وَلَا يَهُمنَا نَوع اللّغة المعَبّرة بهَا، الفَائِدة تَكمُن في فَهم المطلَب، وإنّ هذَا الرّوائي الجزائري، لَيسَ غَرضُه الحريّة، وإنّما أَرَادَ غَرسَ إيديُولُوجِية مُلَغّمَة بِأَهدَاف سِيَاسِيّة، تُحَرِّكهَا أَيَادِي فَرَنسيّة، تُظهِر لِلحَمقَى والخَرقى؛ أنّ لا سَبِيل لِلتّطور إلّا بهَا، هذَا بالنّسبة لِوجهِه الحَقِيقي، أَمّا القِنَاع هُو قِنَاع حُبّ العَرَبِيّة والأَمَازِيغِية، وَتَأسّف عَن عَدَم إجَادَتِه لُغَة بَلدِه، هَذَا الأَمر جَعل مِنه عرضة للسّخرية، فقد عرفنا كتابا لا يجيدون العربية، لكنهم لم يعتقدوا الحرية في لغة مستعمرهم، هل كان أجدادنا لا يحبون الخير، لما كانوا يواجهون الموت في سبيل أن تتطو؟، فيكون بذلك هذا العنوان، صورة كاشِفة لِقناعَات الكَاتب مُولُود معمري، الفكريّة منها والفعليّة.

(1) ينظر: محمد الهادي الحسني، المصدر السابق: ص:48.

(*) **مولود معمري**: كاتب وباحث في اللسانيات ولد في 28 ديسمبر 1917 بتاوربت ميمون بيني يني توفي في فبراير 1989، أمازيغي الأصل رئيس أكاديمية البربرية في باريس حتى 1979، يعتبر مؤسس القواعد الأمازيغية، له العديد من الروايات المشهورة منها "الهضبة المنسية" و"الأفيون والعصا".

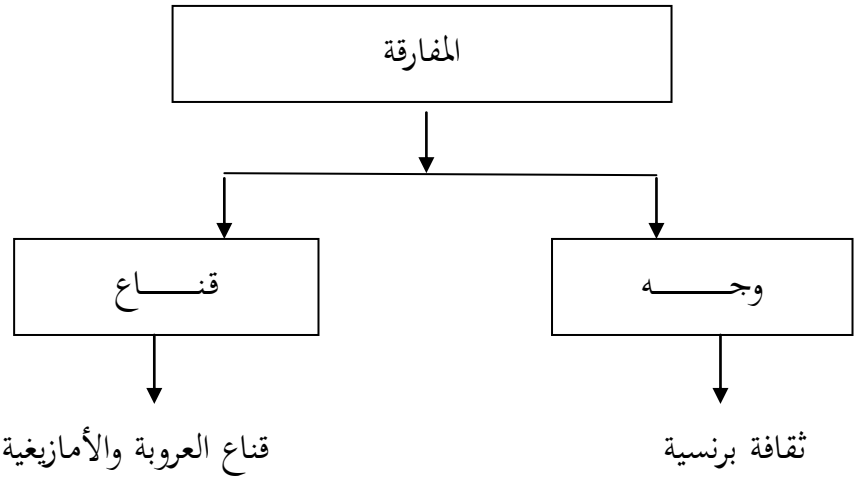

مخطط رقم(4): يوضّح المفارقة في دلالة العنوان وجه وقناع.

2- السّياسة الصّهيُونيّة:

حمَل "الحسَني" كَأيّ مُفكِر، همّ الأمّة العَربيّة ومَا تُواجِهُه مِن أَزمَات، فَحَاوَل جاهدًا أَن يُبِيد المسَبّب في ذَلِك، وَعَلى رَأسِهِم الاحتِلَال الصّهيُوني؛ الذي لَا يَكلّ وَلا يَمَلّ مِن إنتَاج الخَرَابِ، يُوجِه لَهم رَسَائِل تُوقِعُهم أَرضًا، مِن خِلاَل سُخريتِه البَارِزَة في العَنَاوِين التالية:

أ)- بَرَادِع الإنجلِيز[1]:

فالعُنوان يُثير الضّحك، ممّا يَجعلنا نَتَخيّل مَا يُثيُر فضُولَنا؛ لمعرِفَة أَبعَاد مَا يفسّر هَذا العنوَان عَبرَ مَا وَرَدَ في المقَالَة، فَقَد وَقَر في أَذهَانِنَا أَنّ الشّعب الإنجلِيزِي، شَعب مُتَطَور بُرجوَازِي، لكنَّ المقال يَفضَحهم ويَكشفهم، فَبريطَانيَا دَولَة استِعمَارِية، استولَت عَلى عدّة أَقطِار عَربِيّة، وَأَشَاعِت فِيهَا الخرَاب والفَوضِى والتّخَلف، فَلفظِة (بِرادِع)؛ تلك القماشة التي توضع على ظهر الحمار؛ لتساعد الرّاكِب مِن جهة، وتَحمِي ظَهر الحِمَار مِن جِهَة أخرى، إلّا أنّها انزَاحَت عَن معنَاهَا المعتَاد، إلى مَعنَى آخر، وَقَد طوّعَها الكاتب حَسَب الدّلالة الجديدة؛ التي يريدها وتعلقت بالإنسان، وتكوّن العُنوان مِن الوَحدات الدّلالية التالية:

(1) ينظر: محمد الهادي الحسني، المصدر السابق، ص:25.

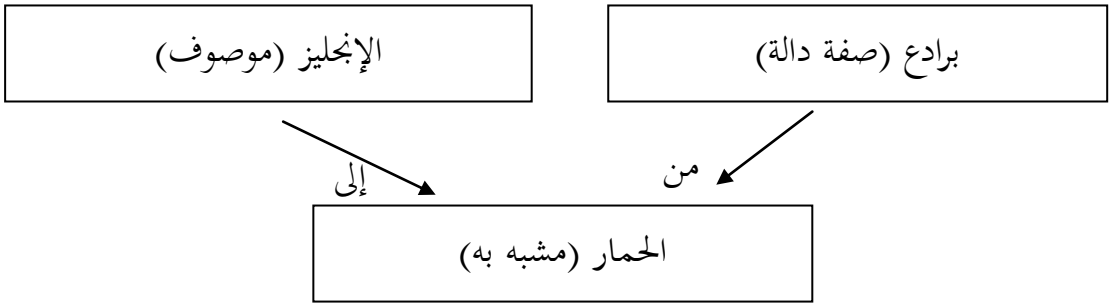

مخطط رقم(5): يوضح المفارقة في عنوان برادع الإنجليز.

جملة اسميّة تامّة، حذِف المبتدَأ فيها وقدّر بـ (هَذِه)، و(البرادع) خَبر وَهو مُضَاف، والإنجلِيز مضَاف إِليه؛ لَكن مَا يثِير الغَرَابة طرِيقَة انسِجَامِها وَتسَلسُلِها، ضِمن حَقل دَلالِي مُوَحَد، فَلا يُعقَل أَن الكاتِب قَد خَصّ مَقَاله، يتحدّث عَن بَرَادِع الحَمير الإنجلِيزِيّة، إختَار لَفظَة (برادع) لِرَمز فَنّي، أَخفَى بِه المعنَى البَاطِني، وَتعمَّد ولم يَقُل (حمير)، حتّى لاَ يختَلِط عَلى القَارئ المقَال، أَنّه يَقصِد الحَيوان، وأشار بشيء مِن لوَازِمه وَهي (البردعة)، وهذا على سبيل الاستِعَارة المكنِيّة، والبَرَادِع في تَحلِيل مَعنَى المعْنَى العنوان، هم شلّة مِن السّيَاسِيين، أَطلَقَها عَليهِم المصَرِي سَعد زَغلُول(*) ،وَقد أَخَذَ هَذِه العِبَارَة، وَصَرّح بِظلم سَعد زَغلُول لِلحَمِير، ولابّد أَن نَعتَذِر منَ الحمِير؛ لأنّنا شَبَهنَاهم بِتِلك الفِئة، صَحيح أنّ الحِمار حَيوان، لا يستَخدَم إلّا في الأعمَال الشّاقة؛ لَكنّه لم يَخن جَماعَته أَو لم يَخذلهَا، عَلى غِرَار بَني البَشر، وَقد وظّفهم العَدو عُيُونًا عَلى الشّعب للإنجليز، ولَيسَ لمصِر بَرَادِع وَحدَها، فَكلّ رُقعَة عَربيّة، وَعَلى وَجه الخُصُوص الجَزائر؛ حَملَت بَرَادِع فَرنسيّة في فَترَة الاستِعمَار، وَحتّى يَومِنَا هَذا، اختِيَار الكَاتِب لهذَا العنوان، جَاءَ متَهَكّما بأسلوب التّعريض، عن عَبيد الاستِعمَار؛ الذين بَاعوا وَطنَهم مِن أَجلِ دَنانير، وَرَضَوا أَن يَكون قِطعَة قماش، يَركَبهَا الانجلِيز لِتَحقِيق أَهدَافِهِم.

(*) **سعد زغلول** (1857-1927): زعيم مصري وقائد ثورة 1919 في مصر، وأحد الزعماء التارخيين، شغل منصب رئيس وزراء مصر، ومنصب رئيس مجلس أمة.

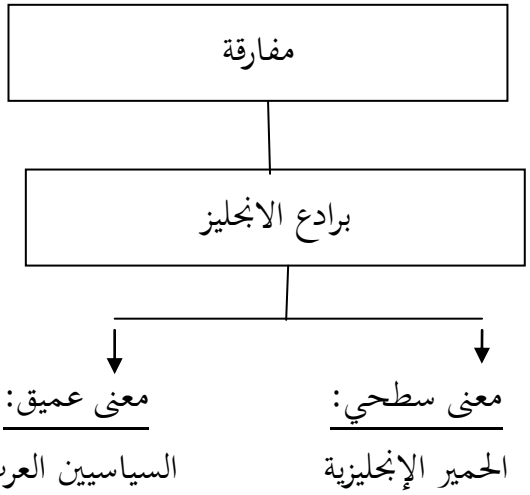

مخطط رقم(6): يوضح مفارقة العنوان برادع الانجليز بين المعنى السطحي والمعنى العميق.

ممّا يؤكّد أنّ المستعمرين، وسياستهم الاحتلاليّة والقمعيّة، لن يَجِدوا عِندَ الشّعوب المستضعَفَة مَكَانَة، وَلَو أَبدَوا لَهم بَعض اللّيونة، فالمستعمر منبوذٌ دائمًا، اللّهم إلا مَن بَاع ضَميره، وخَان أمّته، فهؤلاءِ لَا يختَلِفون عَن الحِمِير.

ب)– فِرعَون يَحتَج[1]:

تركّب العنوَان مِن المبتَدَأ (فرعون)، كان مسندًا إليه للفِعل (يحتج)؛ (فرعون) هَذَا الذي يضرب به المثل في الطّغيَان والسّيطَرَة، حتّى وَصَل بِه الحد إلى القَول "أَنَا رَبّكُم الأَعلَى"، هَل يُعقَل أَن يَكُون أحَد، بهَذا الكبر يَقومُ بِفعلِ الاحتِجَاج؟، أَو يَقوم باستِنكَار الأَفعَال، وَيطلُب حقًّا ضَاعَ مِنهُ، وكيْف كَطَاغِيّة لَا يَعرِف العَدلَ والسّلم، أَنْ يَحتَج وَمِمَن يَحتَج، وَيَكُون الكَاتِب بِذَلِك، يُرِيد تَحقِيق مُفَارَقَة في الأَمرِ، وَهذَا المخطّط الآتي يُبَيّن موضوع المفارقة في العنوان :

(1) ينظر: محمد الهادي الحسني، المصدر السابق، ص:43.

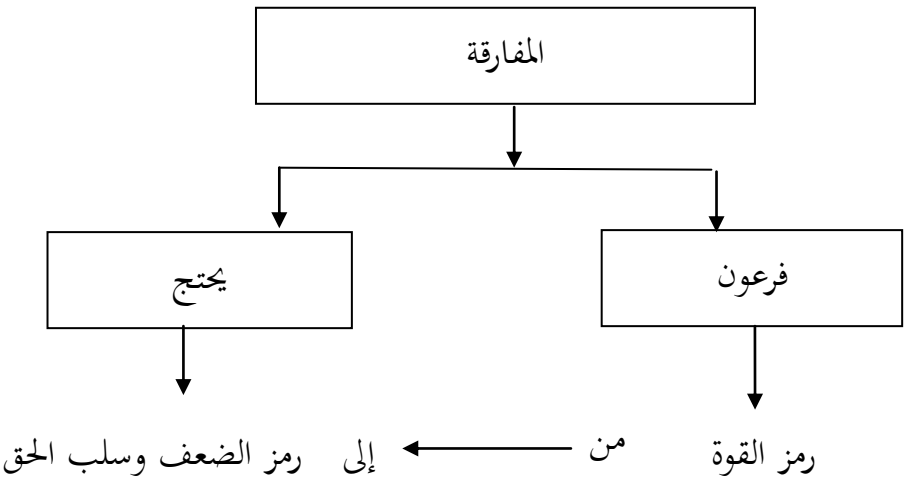

مخطط رقم(7): يوضح مفارقة عنوان فرعون يحتج.

نلاحظ تغيرًا من دلالة القُوة إلى دلالة جديدَة، عنْ طَريق فعْل "يحتج"؛ الذي يُوحي بأنّ فرعون، تحوّل إلى إنسَان بَسِيط، يُمارس عَلَيه الاحتِيَال والنّصب، مِن قِبَل الطّبقة الحَاكِمة، بعدمَا كَان هو متربعًا عَلى العَرش آمرًا ناهيًا، فلفظَة وَاحِدة عَلى محور الاستِبدَال، خلقت فارقًا، وَخرَجت عن المنطِق، إنّ السّر في هذَا العُنوَان الذي كسّر البُنيَة الزَمَانيّة؛ هُو في سَرد الكَاتِب لمنَامه، فقد جَاءهُ فرعون يَشكو، حين أعلمُوه كلٌ مَن دَخل بعدَه جهنّم؛ أنّ اسمه قد أخذَه مِنك شخصًا يدعَى جورج بوش، "لقب بفرعون العصر بدلاً من فرعون موسى" وشبّهوه بهِ، فدار حوارٌ بين الكَاتب وفِرعَون، عبّر به عَن استِيَائه قائلاً؛ أنّه مهْما بَلَغت جَرائِمي، إلّا أنّ عدَدَها لَا يُعَادل مَا ارتكَبه (جورج بوش) مِن جرائم، ويمشي معترفاً، لم يستعبد شعبًا غير شَعبه، وإذا كَان من قتل؛ فَهو لم يَقتل إلّا مَن كَان يُهدّد أمن بلده؛ لَكن بوش مسّ العَالم كلّه، وقتَل مَا لا ذَنبَ لهم، واستَعبَد النّاس، وَلم يسلَم مِن جَرائِمه الحَيَوان والبِيئة، ويمضِي فِرعون مقلّلًا من جَرائِمه، قياسًا بمَا يَفعَله جورج بوش، واقترحَ فِرعَون عَلى الكَاتب، أنْ يجمَع كلّ اسم، اشتَهَر بالجرْم عَبر التّاريخ وَينحِت له اسمًا، فالكَاتِب يَتَقمّص دَورَ فِرعَون، وَيتحدّث عَلى لِسَانه، بِطَرِيقَة تَنكِيتِيّة حتّى يَسخَر مِن (بوش)، وَيَكشِف حَقَارَتَه وَتَصنّعه في المنَابِر الخِطَابِية؛ بأنّه سَفيرُ النّوايَا الحَسَنَة، ورَافِع شِعَار الحريّة.

II)- السّخْرِية الأَخلاَقِيّة :

وَمِن العَنَاوين التي عَبَر بهَا الكَاتِب، عَن الشُّذوذ الخلقي عِند فِئة مِن النّاس، خصوصًا من الأعلَام السّيَاسِيّة مايلي:

أ)- ذُكُورَة وَرُجُولَة[1]:

عُنوان قَصِير مُوجز، لَكن دلَالته تتّسع لِكتَابه، (رجولة) جَاءَت اسم مرفوع؛ لأنّها مَعطُوف على اسم مَرفُوع (ذكورة)؛ وهِي جَمع ذَكر (جنس) خِلاف الأنثَى، أما الرجولة من أصل: «رَجَل، الرَّجُل : معروف الذكر من نوع الإنسان خلاف المرأة وقيل: إنّما يَكُون رجلاً فَوقَ الغلام»[2]، هذا في معناه اللّغوي، أمّا (الرجولة) فَهي أَخلاَق لمعْنى الشّهامة والعَزيمَة، وَصِفَة تَحمِل مَعَاني سَامِية، فَإذَا تَوفَرت في شَخصٍ مَا، كان ذَا مَكَانَة ومَهَابة، وتظلّ مَوجودَة في كلّ عَصْرٍ وَعَصْرٍ، فَقد وفق الدّعاة والكتّاب، يُنَافِحُون عَن هَذه الصّفَة المحمُودة، وَيقِفُون ضدّ عَكسِها مِن الصّفات؛ التي يَتَحلّى بها بَعضًا مِن الخَلق، فِي كلّ عَصرٍ وعصرٍ، أيضًا ممَن يَقِفون مَواقِف سَلبِية، تَخدِش كَرَامِتهم وإِنسَانِيَتهم، ولم يَبقَ فِيهِم إلّا مَعنَى الذّكورَة؛ التي يَشتَرك فِيها مَع الحيوانَات، والحيوَان مِنهم براءٌ، وقَد ضَرَب الكَاتِب أمثِلة لهذَا الصّنف مِن النّاس بِقوله: «وممّا وَقع في المدّة الأَخيرة أنّ ذكَرَين أَحَدُهما كَوسَج كَليلُ البَصر، أَعمَى البَصيرَة، مُعَقد بِعدّة عُقَد أبسَطها أَعقَد مِن ذَنَب الضّب»[3]، نَجد أنّ الكَاتب قَد صوّر الشّخص؛ بأنّه كَوسجٌ وَهو مِن أصل: «كَسَجَ، الكَوسج : الأثط، وفي المحكم: الذي لا شَعر عَلى عَارضيه، وقال الأصمعي: وَهو النَاقص الأسنَان معرب، قال سيبويه: أَصلُه بالفارسية»[4] قَد بَالَغ الكَاتِب في تَصوير؛ حتّى يَضحَك عَليه، فَوقَف عِند عُيوبِه، مِنها تَسَاقط الشّعر وَضعف البَصر، جَسّدَه الكَاتِب بِصورَة نَكرَاء؛ وكأنّه يَصِف إبلِيس، وَهَذا مَا يطلَق عَليه الأسْلُوب الكَارِيكَاتورِي وَهو: «مِن الأَسَالِيب التي يَلجَأ إِليهَا الفنّان السّاخر؛ الذي يَعمَد مِن خِلاله، إِلى المبَالَغة في عَرضِ أشكَال المسخور منه، وإِشَارَاته وَحَرَكَاتِه الظّاهرة، وَتصَرفَاته اللّافِتة لِلنّظر، وَفي تَشخِيص مَلامِحه الخلقيّة والخلقيّة، فَيَقِف عِندَ

(1) ينظر:محمد الهادي الحسني، المصدر السابق، ص:123.

(2) ابن منظور:**لسان العرب**، تح/ عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، مج6، ط1، 2005، ص:362.

(3) المصدر السابق، ص:126.

(4) ابن منظور، المرجع السابق، ص:410.

جَوانِب الضّعف فِي جسد شخص، أو في وجهه ويكبرها، كأنمّا يُريد أَن يُنمي الضّعف أو العَيبَ، الذي يَكمُن فيه إلى أقصَاه»[1]؛ فَبِتصويره الهزْلي فَرّق بَين الرّجل والذّكر، وَلِشدّة حبّه للشيخين الإبرَاهِيمي وابن بَادِيس وَتأثّره بهمَا، ردّ عَلى كلّ مَن يَتطَاول عَلى الرّجال وَيجرَح كبرِيَاءَهم، باستحضَار أَمثِلة عَن الرّجولة؛ لأنّ هذَا الذّكر الذي وَصفَه بالكَوسَج، قَد شتَم كل من العلَمين الجَليلَين، وَتَعرّض لهُما بالاستِنقَاص مِن قَدرِهمَا.

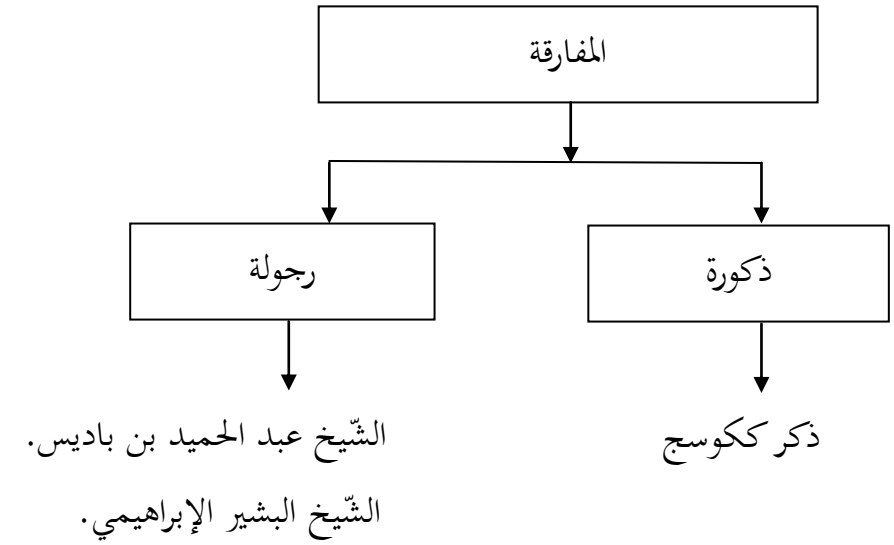

مخطط رقم(8): يوضح مفارقة عنوان ذكورة و رجولة.

وكأنّ الكَاتِب في هَذا الموقِف، يَضَع مقَارَنة بَينَ الفَريقَين لِيرَجِح أَحَدهما، بالاستِنقَاص مِن الطَرف الآخر، فَكانَ الموصوف بالكَوسَج فَاقِد لِلرّجولة، وكَان الشيخَان أُنموذجًا لهَا باقتدار وكفاءة.

2-الجُحُود وَنُكرَان الجَمِيل:

نعاني الآن للأسف من قلّة الوَفاء، فكلّ بَطَل دَخلَ ذاكرة النّسيَان العَربية، لَا يمجّد ولَا يعترَف به، عبّر الكَاتِب عَن حَسرَته لما حَصلَ لأعزّ الشّعراء بمقَالة عَنوَنها:

(1) محمد ناصر بوحجام: المرجع السابق، ص:289.

جَنَــازَة أَدَبِيّــة[1]:

أصابنا الذّهول عِند قِرَاءة هذَا العنوَان، خرجنا به عَن مَاهو مُعتَاد، هُنَاك لَبْسٌ في لَفظَة جَنَازَة هي: «واحدة الجَنَائِز، والعّامة تَقول الجَنَازة بالفتح، والمعنَى الميّت عَلى سَرير، فَإذَا لمَ يَكن عَليه الميّت فهو سَرير وَنعش»[2]، وَهي تَتَوافَق معَ الإنسَان فَقط، خَرجنَا عَن المنطِق، عِندَما تَعلّقَت بالجَانِب الفِكرِي، فقد غيّر التركيب اللّغوي لِلعنوَان، مَعنى كلّ الكَلِمَات الموجودَة فيه، فَأصبَح يَحمِل مَعنَى مستقِلاً يخدم الكَاتب، فإذَا حَلّلنَا المعْنى الظّاهِر، واعتبرنَا أنّ وحدة دَلالِية، قَد حذِفت وأبقيت صِفَة أَو قَرينَة منها؛ والتي هِي (أدبية) ينتجها الأديب؛ وهو الذي يُقَام لَه جَنَازة، والكَاتب يَتكلّم في مَقَالته، عَن وَفاة محمد الأخضر السّائحي؛ الشّاعر الجَزَائِري الذي لم يَكتَرث لموتِه أَحد، وَلم يحظَ باهتِمَام مِن قِبل السّلطات الجزائريّة، فَقد تَأسّف الكَاتِب عَلى هَذِه الحَال التي وَصلنَا إِليهَا؛ والتي تُعبّر بجَلاَء، عَن نكرَان جَمِيل علمَائِنا وَأدبَائِنا وَزعَمَائِنا، فقد إتّخذ الكَاتب مِن مَقولَة "الرّيَاء الرّسمي"، مَا يُعبر بِه عَن التّهريج السّياسي؛ الذي لا يقدر حقّ الرّجال المخلِصين؛ وَهو مَا جَعل الإعلام في دَائِرَة الاتّهام؛ لأنّه سَاهَم كثيرًا في هَذَا الانحِطَاط الأخلاَقي، ممّا عمق الكذب والنفاق، بهذَا نَكون قَد قَتلنَا أَنفسَنَا، فَإذَا بحثنَا فِيمَا وَرَاء العنوان (جنازة أدبية)، كناية عن موت الأدب بصفة عامة في الجزائر؛ والكناية"انزياح تركيبي" وهي: «لَفظ أطلِق وَأرِيد بِه لاَزم مَعنَاه، مَع جَوازِ إِرَادَة ذَلِك المعنَى»[3]، فَالأَدَب هُو تَعبِير عَن الحَيَاة وَعَن الإنسَان، فَإذَا انحرَف عَن ذَلك، وَهو مَا تعمَدته السّلطات السّياسيّة والإعلاميّة، فَيَعني ذَلك أنّنا أَجهَزنا عَلى أَنفسِنا، وَوضعنَا ثَقَافَتنا في الحَضِيض، وَهو مَا جَعلَنا نَتجرّع مَرَارَتَها، وَنتَائِجَها الوَخِيمَة عَبر السّنوات الطِّوال.

(1) ينظر: محمد الهادي الحسني، المصدر السابق، ص:156.

(2) ابن منظور: **لسان العرب**، عامر/أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مج4، ط1، 2005، ص:22.

(3) عبد العزيز عتيق: **علم البيان**، ص:203.

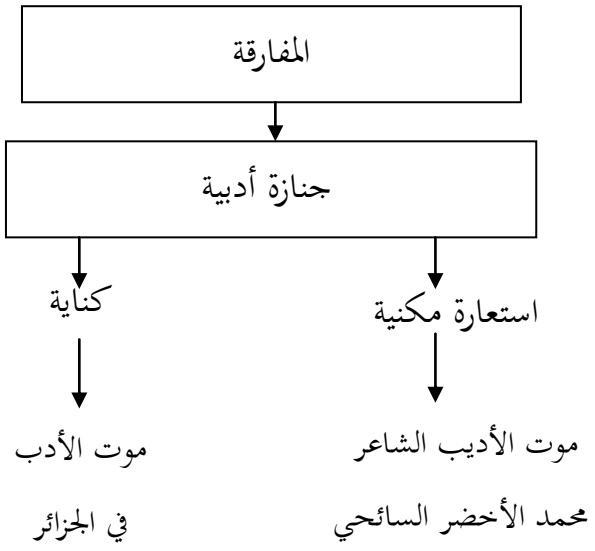

مخطط رقم(9): يوضح مفارقة جنازة أدبية.

III)– السّخرية الاجتماعيّة: تتعدّد العناوين الدّالة على هذَا النّوع من السّخرية، و يُمكِن إجمَالها في العَناوين التّالية، انطِلاقًا مِن مَوضوع الجَهل:

- **الجَهل:**

تحمل السّخرية هدفًا، لإصلاح المجتمع وتوعيّته؛ بمَا كَان يحَاك لَه دُون عِلم مِنه، وَهِي طَرِيقَة غَير مبَاشِرة للسَيطَرة، فَرفَع الكَاتِب عنَاوين لمقَالات صُحفِيّة، تُنَمّي الذّاكِرة لِقرَاءة مَا بَينَ السّطور، في أيّ أَمر:

- **إِبلِيس وَلَا إِدرِيس**[1] :

يَتَكوّن العُنوان مِن كَلمَتين، تَتَوسّط بَينَهُمَا (لا) نَافيّة للجِنس، قرَّب بين الكَلمَتين تَعادل حرفِي، مُتمَثّل في (إبليس = إدريس)، وكَذلِك أنّ كلتيهما تَوافَقَتا في الحَرف الأَخير (س)؛ وَهو حَرف مهْموس صَفيرِي، شكّل فَاصِلة سَجعِية، أَعطَت العنوان جرسًا موسيقيًا، وإيقاعًا يجذِب بانتبَاه السامع، ويمنح للتّعبير قوّة ووضوحًا، وَيقوم العنوان عَلى التّضاد، بَين مَاهو إِنس (إدريس)، وَمَاهو مِن الجنّ (إبليس)، مُقابَلَة بَين مَا خَلقَ الله مِن طِين، وَما خَلقَ الله من نَار، الأَوّل مَطرُود مِن رَحمة الله، وَمصِيره جهنّم وبِئسَ المصِير، والآخر لَا زَال تَحت رَحمته، فَكَيف لِعَبد أَنْ يُخيّر إِبلِيس الملعُون عَلى

(1) ينظر: محمد الهادي الحسني، المصدر السابق، ص:222.

إدرِيس، وأصل هذا العنوان يعود إلى الفترة التي تغلب فيها؛ الضّابط معَمَر القذّافي عَلى المِلك محمد إدريس الأول(*)، وَقَد حَمل الشّعب اللّيبي شِعار "إبليس ولا إدريس"، كنِايَة عَن كُرهِهم لهَذَا المِلك وَرَفضِهم لحُكمِه، وَهِي نهايَة لِعهد مَلكِي، وَبِدَايَة لِعهد دِيمقرَاطِي، لو تمعّنوا في الشعار، لوجدوا أنهم احتضنوا إبليس (القذافي)، وتركوا الملك (إدريس)؛ لكن الشعب الليبي أدرك ذلك متأخرًا، وندموا حيث لا ينفع الندم، ووجدوا أنفسهم مكبلين بقيد دكتاتوري مقيت، راجين عودة الملك إدريس السنوسي، وقد ردّ عليهم قائلاً: «أَلم تَكونُوا تَقُولُون إبلِيس وَلا إديس، ثمّ يصرفُهم بِلطفٍ وأدبٍ»[1]، جاء مقال الكاتب مدججًا بالمعاني السّاخرة، بجهلهم وقلة وعيهم لإدراك المؤامرَات؛ التي كَانَت تحَاك ضدّ الملك، حتّى يشوهوا سمعته، وهَاهُو الشعّب اللّيبي، يَدفَع ثَمن ثَهوره جَراء سُوء تَفكِيره.

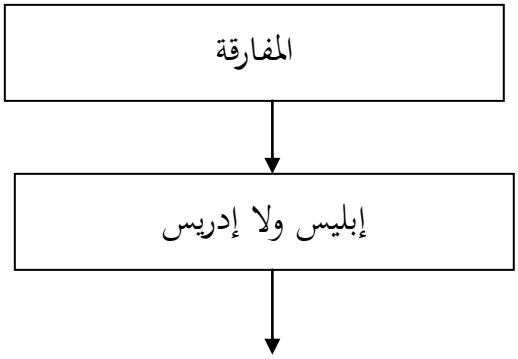

إبليس في نظر الليبيين

أفضل من حكم الملك إدريس

مخطط رقم(10): يوضح مفارقة عنوان إبليس ولا إدريس.

(1) محمد الهادي الحسني، المصدر السابق، ص:224.

(*) **الملك محمد إدريس الأول** (1890-1983): أول ملك يحكم ليبيا بعد الاستقلال عن إيطاليا وقوات الحلفاء سنة 1951م حتى 1969م، ورث موقع جده محمد بن علي السنوسي، من أتباع الحركة السنوسية، كان حريصا على المبادئ الدستورية في ليبيا، أطاح به الرئيس السابق معمر القذافي بانقلاب عسكري وحرم العائلة المالكة من الجنسية الليبية وصادر ممتلكاتها، وقد لجأ الملك إلى القاهرة لاجئا سياسيا.

المطلب الثاني: أسلوب الاستفهام

إنّ أهمّ ما يركز عَليه الأدَبَاء؛ هُو كَيفِيّة بِنَاء أَسَاليب نُصوصِهم؛ التي تُعَبّر عَن أَفكَارهم وُمعتقَدَاتهم وَقنَاعَتهم، بإظهَارهَا أكثَر جَمَالِية، وَذَلك لَا يَكون إلّا بِسَلامَة اللّغة وَالأسلُوب، والتّنويع في الأَسَالِيب هُو مِيزَة اللّغة العَرَبية، وَمن المظَاهِر الأُسلُوبية لِتَجلي السّخرية في المدوّنة، اخترنا أُسلوب الاستِفهام؛ فَهو من الأسَاليب الإنشائية الطّلبية، ويعْرف بلاغيًا بأنّه: «تركيب يطلَب بِه العلم، بحُكم كانَ مجهولاً أو في عِدادِ المجهُول عِند السّائل»[1]، بحَيث شكّل أُسلُوب الاستِفهَام سِمة أُسلُوبية بَارِزة، في مَقَالَات محمَد الهادِي الحَسني؛ فقد اتخذ الكَاتب مِنه وَسيلَة مُشَارَكَة القَارئ وجدانيًا، ولإثَارة ذِهن المخَاطَب، إلى تِلك المعَاني المقصُودَة؛ حتّى يُوصِل لَه الرّسَالة بِطابِع سَاخر هَزلِي، يجلُد بِه المنحَرفِين ودعَاة الفسَاد، وَقد صَاحب هذَا الاستفهَام أَفكَار موجَّهة، وَرُؤَى فنيّة معمّقة أثْرت المقَالة، وَأغنَتهَا بِعديد منِ الفوائِد، في مُختَلف المجَالات اجتماعياً وأخلاقيًا وسياسيًا ودينيًا مِن جهَة، وأسلوبيًا وبلاغيًا من جهَة أُخرى.

أَطلَق الكَاتِب تَسَاؤلات عَدِيدَة في مَقَالاتِه، مُنوّعًا في الأَدَوات الاستفهَامِيّة من: "الهمزَة، هَل، مَنْ، أَين، مَتى، كَيْف، كَم، أَي، مَا"، ليُحرّك بِهَا الضّمَائر الميتَة، ويذكّر الشّعب بأنْ لا يَكتَفي بالمشَاهَدة والسّلبية، بَل عَليه أَن يَكونَ فطنًا ذكيًّا، لما يَجرِي حَولَه مِن أَحدَاث، فَأغلَب الموضُوعَات التي طَرحهَا الكَاتب؛ بِصيغَة استِفهَامِيّة سَاخرة، تَسرِد أَخلاقِيات رِجَال الدّولة، سواءً مسؤولين حُكُوميين، أَو رِجَال أَعمَال وقد رتّبتُها كَمايَلي:

- **انحرَاف إِدَارَة الوَظِيفي العُمُومي:**

من الاستفهامات السّاخرة؛ الذي ضَرب بِها الكَاتب، سُلطات الإدَارة العُمُومية؛ التي تَسعَى مِن ورَاء قَرَارِها نفعًا شخصيًا، يَعودُ عَليهَا أَو عَلى غَيرهَا، يقُول الكَاتب: «هَل يَكفِي اليَومَان اللّذان

(1) الأزهر الزناد: **دروس في البلاغة العربية" نحو رؤية جديدة"**، المركز الثقافي للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1992، ص:108.

"تَتصدّق" بهمَا عَلينا إدارَة الوَظيف العُمومي، ليسَافر النّاس مِن تبسّة إلى بَاب العسّة وَمن عَين صَالح إلى الوَادي المِالح، وَمن الذَرعَان إلى تِلمسَان، وَمن بَطيُوه إلى فَرجيُوه ؟»[1].

المتعمق في هذا التّساؤُل بأَداة "هلْ"، أَراد بهَا تَوبيخ واستِنكَار، فِعلَة إدَارة الوَظِيف العُمُومي، فهُو لَا يَستَفهِم، بِقَدر مَا يَرفُض هِذهِ القَرَارات، وَنَجِد هَذا التَّسَاؤل يَحتَوي عَلى فَواصِل عَدِيدَة، نظرًا لِطُوله، إذْ كلّ فَاصِلة كَان يَتّخذهَا سجعًا، يختَلف كلّ صوتٍ متكررٍ فيها، عَن الفَاصِلة الأخرى فهو: «هو توافق الفاصلتين من النثر على حرف واحد»[2]، وَقَد تَمثّلَت الفَواصِل في، (تب**سة**، الع**سة**)،(ص**الح**، م**الح**) (ذرع**ان**، تلمس**ان**)، (بطب**وه**، فرجي**وه**)، مَعَ تَوافق في أَواخر الكَلِمَات، كَأَنّها قوافٍ شعرية، مما أضْفى عَلى الاستِفهَام جرسًا موسيقيًا؛ لجلب انتباه السّامع، وقَد أَطال الكَاتِب العِبَارة الاستفهامية؛ لغَاية يَقصِدها لِنفسِه، حتّى يُؤكّد كَلامَه، فَفِعل "تَتَصدّق" انزَاح عَن سِيَاقه اللّغوي إلى مَعنَى آخر، وَمَا يَنصَرف إليهِ الذّهن مِن الصّدَقة؛ هُو الجانب المِادي مِنهَا، إلّا أَنّني لمَ أَرَ قَط؛ أَنّ التّصدق يَكُون بأَيام (ظَرف زَمان)، فاختِيَار الكَاتِب لهذِه اللّفظَة،كَشفَ بهَا حَقِيقَة العَلاَقَة بَين الموظّف الجزائِري، وَإِدَارَة الوَظيف العُمُومي، وأنّ الطَرف الثّاني لا يُعَامل مُوَظّفيه بِوصفِهم عمالاً، بَل عبيدًا يتصدّق عليهم، وظَاهر القَول يَبدُو تساؤلاً؛ لكنّه يحمِل عتابًا وتهكمًا، مِن هَذِه الإدَارة الفَاشِلَة؛ التي تَعجَز عَن ضَبط قَانُون، يَعدِل بِه العُطَل في الجَزائر، وَيفطنُنا الكَاتِب إلى أمرٍ يَغفَل عَنه الكَثير؛ وَهو أَنّنا نَتبع نِظام العُطلِ وفقَ السّياسة الفَرنسية؛ التي تطيل عطلة الشّتاء لخمسَة عَشرة يومًا، وَليسَ فيهَا لِلجَزَائِريين عِيد، فَالكَاتب يَنتقِد السّياسة الجزائريّة؛ التي تُقلّص من مدّة أعيَاد الجزائريّين، بَينمَا تَجدُها تُمدّد عطلَة الشّتاء مثلاً؛ وهي تَتَزامَن مَع أَعيَاد السّنة الميلاديّة، بينمَا نَجدُها في أعيَادِنا الدينيّة، لَا تَقفُ مِثل هذَا الموقِف، إلّا أنّ العَيب لَا يَكمُن فِيمَا طَبّقت هِذه السّياسَات؛ التي لَا تَزالُ تَحن إلى مَا يَأتِيهَا مِن فَرنسَا، بَل يَكمُن في المَوَاطِنِين الجَزَائِريين الذِين يُسلِمون المسؤُولِيات، لمن لَيسَ أهلاً لهَا، لنَجد أنّ الشّعب الجزَائِري في الأَخير، عُرضَة للسّخرية والتّهكم من غيره؛ لأنّه في الحَقِيقَة لم يَنَل بَعد استقلالَه الحقِيقِي؛ الذِي أَرَادَه الشّهدَاء لِوطَنِهم.

(1) محمد الهادي الحسني: المصدر السابق، ص:22.

(2) عبد العزيز عتيق: **علم البديع**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت)، ص:215.

- **انحراف رجال الحكومة:**

وَممّا وَردَ مِن تَسَاؤلات، صَوّرت سَفَاهة وَبهلَلة حُكومَة الفَسَاد، وزيرًا قَام بالرَّقص، وَسطَ مؤتَمر عُقد لحزبِ جَبهَة التّحرير، وَرَقَصَ لأنّ الرئيس عَبد العَزيز بُوتفليقة، وافَق عَلى رِئَاسَة الحزب، قَال الكَاتب: «لَقد لمتُ الصّحفِي الذي رَصَد هَذا الحَادث؛ لأنّه لمَ يخبرنَا إن كَان "مَعالي" الوَزير قَد حزّم وِركَيه أَو لا، وَلمَ يَذكُر لَنا الموسِيقى التي شَطَحَ عَلى نَغمَاتها، وَمَن هُم الذِين طَبّوا لَهُ، وَمِقدار العَرق الذي تَصبّب مِن جِسمِه الشّحيم ، وَهَل رَشَق لَه المتَفَرّجُون؟»[1].

كوَّن الكاتب تسَاؤله من أَداتيين "مِنْ" و"هَلْ"، فَقد حملَا مَعنى تشوِيق المخاطِب، في مَعرِفة تَكمِلت الخبر، أَو بالأِحرى فَضِيحة الوَزير هذَا مِن جِهة، وَمِن جِهَة أُخرى إلى إنكَار وَنَفي، مَا قَامَ بِه الوَزير في وَسَط مَجلِس سِياسِي، بَل مَجلِس يُشبِه قَاعَة الحفَلات، فَالمتَأمّل للألفَاظ التي اختَارَهَا الكَاتب، تُوحِي بِذَلك مِن خِلال: (حزّم وِركَيه، موسيقى، شطح، نَغمَة، رَشَق)؛ تحسّر الكاتب عَلى حَقيقة رِجَال الدّولة، حَيثُ من المفتَرض في اجتمَاع في مَجلسِ الدّولة، أَن يَكون في غَايَة الجَدّية والصّرامَة، ويُمثّل الشّعب فيه أَحسَن تمثيلاً أمَام الدّول الأُخرى، إنْ كَان الوَزير يَقُوم بهذَا الفِعل، فمَاذَا تَركَ لِلمواطن؟، نجِد أنّ الكَاتِب أَيضًا لِيفحِم الوَزير، عَلى طِريقة الجَاحِظ، دَمجَ أُسلُوب الاستِفهَام مَع أُسلُوب التّصوير الهزلِي، إذْ بَالَغ في عَرض شَكل وَتصرّفَات مَعَالي الوَزير، وَركّز عَلى نُقطَة ضُعفِه؛ وَهي السّمنة، عَاب جِسمَه الشّحيم كأنّه خنزيرٌ مترهلٌ، دَوره الأَكل ثمّ العَودَة إِلى مَقَامِه المنَاسِب (الوحل)، عَالجَت السّخرية في هذَا الاستِفهَام، مُشكِلَة تَغَاضِي النّظر مِن تَصَرّفَات الوِزَارَة، وَعَدَم تَأدِيب أيَّ وزير بِطرده وعَزلِه عَن منصبه، بَل يُكرّم عَلى فِعلِه هَذا، لَو أَنّ تلميذًا في القِسم عَمَل عملته لصُرف لمجلسٍ تأديبي.

- **بلادة وإهمال رجال الدين:**

وممّا ورَد مِن الاستفهامات الدّالة على التّهكم والسّخرية والتّذمر، من الواقِع الأَليم قَوْل الكَاتب: «هلْ أَبكِي عَلى حِال أُمّتي أَم أَضحَك ؟»[2].

(1) محمد الهادي الحسني، المصدر السابق، ص:36.

(2) المصدر نفسه، ص:17.

فأدَاة الاستِفهام "هَلْ"، دخلَت علَى الفِعل المضَارع "أَبكِي"، والمعرُوف أَنّ (هل) إِذَا دَخلَت عَلى جُملَة اسِتفهَامِية، لَا تَتَطلّب السّرد الطَويل، فَالإِجَابَة إمّا بـ "نَعَم" أَو "لَا"، وَقد جَاءت عِبَارة الاستفهام مُوجَزَة قِصيرَة، قدّم شبه الجملة الجار والمجرور (عَلى حَال)، على فعل (أضحك)، إذ تَقدِير الكَلام (هلْ أَبكِي أَمْ أضحَك عَلى حَال أُمّتي)، فَقد اختَارَ الكَاتِب فِعلَين مُتَضَادّين (أَبكِي ≠ أَضحَك)؟ وَهُمَا طِبَاق إيجَاب وَيعرَف في البلاغة أنّه: «الجمعُ بَين لَفظَين مُتَضَادّين لمتقَابِلَين في الكَلام»[1]، أَعطى ازدِوَاجيّة في الدّلالة، وكَشَف عَن خَبَايَا الكَلِمة، وَيدعَمها بِعَكسِها، زَادَ هَذَا الأُسلُوب جمَالاً؛ لكِن تَقدِيم فِعل (البُكَاء) عَلى فعل (الضّحك) في هَذِه الصِيغة، يُشير فِيه الكَاتِب إِلى الإِجَابَة، والمتَمَعِن فِيهَا يَرى أنّه قَدّم إِجَابَته، باختِيَاره الأَوّل هُو (البُكاء)، وَتبعَه بِشبه الجُملَة، ثُمّ أورَد الضَحك في الأَخِير، حتّى لا يفرض على القارئ انطبَاعه، ويَترُك له الرأي هذا من ناحية؛ لكِن تساؤل الكاتب، يتضمن سخرية وتهكّما من أهل الذكر والبلا غ، العَاجِزين عَن تَحديد يوم واحد مُؤكد ليفطر فيه الجزائريون، و من ناحية أُخرى كلّ يوم قرار جديد، فمثلًا الجزائر تتّخذ من يوم الوَاحد والعشرين من شهر جانفي، يُوافق الأَلفين بَعد الخمسة للميلاد، والسّعُودية يوم العشرين من شهر جانفي، يمكن لهذا الاختلاف أن يتقبل، نظرًا لعدم رؤية الهلال في دولَة وَثُبُوته في دَولَة أخرى؛ لكِن الأَمر المحيّر أنّ أهْل الذّكر والبَلاَ غ في الجزائر، تراجعوا بعدما قالوا نفطر في الواحد والعشرين من شهر جانفي، إلى الإفطار في العشرين من شهر جانفي، وهذا يدل على أنهم أصلاً لم يَقومُوا بالإجراءات العلمية، حتّى يثبِتوا الرّؤية، فالنّظام عشوائي فقط، ويضيفُ تساؤلاً آخر: «يَا أيّها الكِبار _عُلمَاء وأُمَراء_ إنّنا نَتَفَهّم اختِلاَفَكُم في شُؤُون الدُّنْيَا لما في ذَلِك مِن مَصَالح مَادّية تَعُود عَليكُم، فَفِيم اختِلَافكم في الصيّام أَو الاحتِفَال بِعِيد»[2]، استفهم بِأَدَاة (ما)، حُذِفت أَلف الميم لاتّصَالِه بِحرف الجرّ (في)، كَذَلِك نَجِد الكَاتِب في هَذَا الطّرح، يُلْقي باللّائمة عَلى المسؤُولين، الذين يَتَلاعَبُون بمَصِير الأمّة، والخُطُورَة إنْ كَان الأمرُ متعلقًا بِشعَائِرهم الدّينية، فهم يصدرون بيانًا ويتراجعون عنه، وهو دليلٌ على أنهم إمّعة، ولا يُوجد عِندَهم الثّقة بالنّفس، فَمثَلهم كَطفلٍ صغيرٍ، يخَاف اتخَاذ قرار لِوحده، يَنتَظِر من يمسِك بِيدهِ وَيُوجّهه، فَإِذَا كَان قَرَار الصّوم أَو الإِفطَار سُعوديًا وَهيأَتُهم قَرّرَت ذَلِك، فَأَينَ هَيآت الجَزَائِر، حتّى تُصدِر قرارًا بناءً على وضعِها؟

(1) الأزهر الزناد: المرجع السابق، ص:172.

(2) محمد الهادي الحسني، المصدر السابق، ص:19.

- **فسَادُ الحُكّام:**

سَخر الكَاتِب مِن غَطرَسَة الحكام؛ الذين يَحسِبُون أَنفُسَهم ربًّا، وَيستَغلّون ضعف البسطاء، معبرًا عَنهُم بِقَوله: «كَمْ هُو تَافه ذَلك الحاكم الذي يمدّ يده لكبار العلماء، وكبار الضباط وكبار المسؤولين ليقبلوها...، وكم هم تافهون، أولئك الكِبار الذين يُطَأطِئون رُؤُوسَهم، وَينحَنون حتّى تَبرِز أَدبَارَهم، لينكبّوا على يد ملطّخة بِدِمَاء الأَبرِياء، نَجسَة بالمال الحَرام... يَقول بَعض أُولَئِك الحكَام، إنّهم يفعلون ذلك لأنّهم "أُمرَاء المؤمنين "ونحن نقول: أَلم يَكن عُمر، وَمن قَبلَه أَبو بَكر وَمن بَعده عثمَان وَعَلي أُمَرَاء المؤمِنون ؟ ألا قبّح الاشتِرَاك اللّفظي»[1].

سَخِر الكَاتب سُخرية واضحَة وَمبَاشِرة مِن الحكَام، مِن خِلاَل "تَافه وَتَافِهُون" فَقد كرّر أداة التّساؤل "كم" مرتين؛ حمل بها مَعنى التّكثير لِكمِيّة الحَقَارَة والدّنَاءة، قَصِد بالأولى الحُكّام، والثَانية مِمَن وَافَقُوه في عَمَلِه هذَا مِن كِبَار وَمسؤُولِين، كلّ هِذه التّعظِيمَات لأنفُسِهم؛ هِي إرضَاء لِنقصصٍ يَتملّكهم، تَمثّل في فعل التّكبر والتّسلط، يرغمون الضعفاء على تقبيل أيديهم، بحجة أنهم حاكموهم، فالمكانة لا تأتي بالجهل والسفاهة، بل بالحقّ والعَدل والاجتِهَاد، والحكم لا يعني أبدًا الاستعباد، ثمّ أورد حرف استفهام آخرا بالهمزة "أ" ووصَله بحرف جَزم "لم"، يَنكر بِه أَن تَكون هَذِه الفِئة المريضة، أَن تَتَسَاوى مَع أُمَراء المؤمِنين، فَقد كَان عُمَر بن الخطَاب وأَبو بَكر الصّديق رضي الله عنهم، مثالًا في العدَل، فَيطلَق عَليهِم أُمَراء، أمّا أُمَراء الزّمن المتَأخر، فَهم يَتّخِذون مِن الظّلم سلاحًا، فَقد تَحسّر الكَاتِب أَن يَكون الصّحَابة الخلفَاء، يَشتَركُون في نَفسِ اللّفظ مَع هَؤلَاء السّفهَاء.

- **جُحُود وَنُكرَان الجَمِيل:**

وَجه الكَاتِب "محمد الهَادي الحَسَني" كَلامه، مخاطبًا مسؤولاً كبيرًا بقوله: «لماذا لا يتحرّج الإسبَان أَمامَنا، وَهم يُقيمُون الاحتفالات الضّخمة، في هذه السّنة بمناسبة مُرُور خَمسَة قرون عَلى سُقُوط غَرنَاطَة، آخر مَدِينَة إسلامِية في الأَندَلُس تَحتَ سَيطَرَتِهم»[2].

(1) محمد الهادي الحسني، المصدر السابق، ص:194.

(2) المصدر نفسه، ص، ص: 41-42.

اتّخذَ الكَاتِب في هذَا التّساؤل أَدَاة "لماذا"، وَفِي الأَصل تَكون للاستفسَار عَن شيْء لَا يَعلمُه السّائل، أَورَدَه الكَاتب ليُفحِم به المخَاطب وَيهزأَ منه، قَولُه مَسؤُولاً كبيرًا، لأنّ هَذا الأَخير يَعلَم أَنّ الحسَني عَلى حَق؛ وَلكِن تَعودْنَا دائمًا أَن نَهتَم لِشُعور الأَجَانب، والتّملق لهُم خوفًا وجبنًا، بينمَا ننسى فضلَ مَن عَاشُوا حَيَاتَهم كلّها، جهادًا في سَبيل الله، وَتحرِير بِلاَد المسلِمِين مِن الاستِعمَار، "وهران" التي كَانَت تَحتَ يَد الاحتِلال الاسبَاني، لم تَتَحَرّر لَولَا جُهُود الأَبطَال، بَينمَا نَجِد المسؤُول التّافه يَتَساءل: «لماذا تَهتَمُون في وِزَارَة الشّؤون الدّينِيّة بمثْل هِذِه القَضَايا؟»[1]، ولم يكتَف المسؤُول التّافه بِطَرح هَذا السّؤال فَقَط، بَلْ أَلْغى النّدوة، وَتَكرّم عَلَيهم بِدقائق فَقَط حَول هَذا الموضُوع؛ لأنّ مَا جَاء بِه الكَاتب في نَظَره، يُسيء لِسُمعَة الأسبَان وَيجرَحهم، وَللأسَف أَنّ الأَجيَال القَادِمَة، سَوف تَتَغَذى مِن التّفاهَات، وَتُحرم مِن تَارِيخِها وَوظِيفتِها وَدِينِها.

- **نِفَاق وَتَنَاقُض:**

مِن تَمام القُصور العقْلي، أَن يَكون المرْء منافقًا، وَالأَدهَى أَنْ يَرتَبط النّفَاق بالتّناقض، لِتُعطي صُورَة وَاضِحَة، عَن فَرنسَا في سِيَاسَتِها، مِمَا دعى الكَاتِب أَن يقول: «أَلَيس مِن الوَقَاحة أَن تَطلُب فَرنسَا ذَلِك مِن سُوريا، في الوَقت الذي تُوجَد فِيه قُوَات فَرنسِيّة في عدّة بُلدَان إفرِيقِيّة؟»[2].

(أليس) من الصيّغ الاستفهاميّة، التي يجابُ في إثبَات النّفي بهَا لأدَاة "بلى"، أوردَها الكَاتِب ليُثبِت مَا نَفتهُ فَرنسَا عَن نَفسِها؛ أي نَفي حَقِيقَتها الاستِعمَارِيّة وَفرض قِنَاع السَلام، ثمّ تَأتِي بَعدَها شِبه الجملَة الجَار والمجرُور (مِن الوَقَاحَة)، إذْ يَبدُو الكاتِب سَاخرًا من فرنسا؛ بطرِيقَة غَير مُبَاشِرة، وَتقدِير الكَلام المخفى (يَا لِوقَاحَتك يَا فَرنسَا) أَن تحتلّ الجزائر، وَيَرقى قَلبُك مِن فِعل سُوريَا عَلى لُبنَان، تحبي الخير وكأنّها انقلَبت إلى أَداء دَورِ الأم الحنُونة، والغَريب أَنّ فَرنسَا كَانت تحتَل لُبنَان مِن قبْل، وَأَسّسَت نظامًا أَعوج عَلى حَد قَول الإبراهيمي، فَيواصِل الكَاتب التّساؤل: «هَل عَرَف النّاس دُستُورًا في العَالم أَغرَب وَأعجَب مِن هذا؟»[3]، اتخذ مِن صِيغَة التّفضيل "أَغربْ وأَعجَبْ"، لِيوصِل للقَارئ مَدى تَنَاقض فَرنسَا، مَع نفسهَا وسياستهَا الخبِيثة، وَجاءت سُخرية الكَاتب هنا توعية

(1) محمد الهاديالحسني، المصدرالسابق، ص:42.

(2) المصدر نفسه، ص:82.

(3) المصدرنفسه، ص:83.

للمُجتَمع مِن مَكائِدهَا، بِأَن لَا يَنخَدِعوا بهَذِه المنظَمَات؛ التي تَدّعي حِمَاية حُقُوق الإنسَانَ وَتَنشُر السّلم، وَهي تَعمَل عَكس ذَلك تمامًا، وَمِن العَزم والحزم الاعتمَاد عَلى النّفس، في حلّ المشَاكِل دُون انتظَار صَدَقة مِن فَرنسَا وأذنَابهَا.

ثمّ يُورِد الكَاتِب استفهامًا تعجبيًا آخر، يُشَخّص فيه حَقيقَة السّياسِية الفَرنسِية بِأسلُوب البيَان: «أُقْسِم بخَالِق المنّ والسَلْوَى، وَفَالِق الحبّ والنّوى، أَنّني لمَ أَعجَب ممّا فَعَلَه النّواب الفَرنسِيين، فَهم كالمنَافِقِين الذين إذا قِيل لَهم: لا تُفسِدوا في الأَرضِ، قَالُوا: إنّما نحْن مُصلِحون، أَلا إنّهم هُم المفسِدُون ولَكِن لَا يَشعُرُون، وَإِذَا قِيل لَهم: اعتَرِفُوا بخطَايَاكُم وَجَرَائِمِكُم كَمَا اعتَرَفَ غيرُكم مِن الألمِان وَاليَابَان والطّاليَان، قَالوا: أَنعتَرف كَماَ اعتَرَف السّفَهَاء" ؟ ألّا إنّهم السّفهاء»[1]

ولِتحقِيق التّسَاؤل، نَجد الكَاتب يوظّف أُسلُوب القُرآن الكَرِيم، حَيثُ تَحقَّق التّناص مَع قَولِه تعَالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمْ الغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ المنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونْ﴾ (سورة البقرة، الآية:57) وأيضًا في قوله: ﴿إِنَّ اللهَ فَالِقُ الحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ الميِّتِ وَمُخْرِجُ الميِّتِ مِنَ الحَيِّ ذَالِكُمْ اللهُ فَأَنَى تُوفَكُونْ﴾ (سورة الأنعام، الآية:95)، بمخاطبة الكاتب البرلمانيين الفرنسيين، كما خاطب الله عزّ وجلّ المنافقين؛ الذين قَالوا لهم ما أنتم فَاعِلُون، قَالوا مَا نَحن بفَاعِلِين، وَهَذَا هُو حَال الفَرنسِي المستعمر، الذي يدّعي السّلم ولا يَأتِيه، فَسَخر الكَاتِب مِنهُم معبرًا بِقولِه: "هُم السُّفهَاء"، فَهُم في نَظَر الكَاتِب سُفهَاء، والسّفِيه لَا يجِب مجَارَاتُه وَلَا الأَخذِ بمَا يَقُول.

حَمل الكَاتِب في بَعض تَسَاؤلاته مَعاني خفيّة، تَلعَب بِأَعصَاب ذَوي الأَمر ممن وُجّه لهم الكلام، من ذلك قوله: «فبمَاذَا نُدَاوي الملحَ إِذَا الملح فسد؟»[2].

و الجملة السابقة هي جملة موجزة، لكن تلخص معاني كثيرة، يتوسط هذا الطرح الإستفهامي، "إذا" غير جازمة الشرطية، جاء ما بعدها يحمل جواب شرط، بطريقة رمزية فنية اتخذ من التورية وتسمى أيضا: «الترجية؛ وهي أن يكون للفظ معنيان: قريب وبعيد، فتذكرهما إرادة القريب وأنت تريد

(1) محمد الهاديالحسني، المصدرالسابق، ص:133.

(2) المصدر نفسه، ص:210.

البعيد»[1]، لِيظهِر المعَاني السَّاخِرة، وَالمعرُوف أنّ الملح يُطهِر الجَراثِيم وَهُو المعنَى القَريب، فالملح هُو مَا يَكُون لِنَقضِي عَلى الفَسَاد؛ لَكن الملح الفَاسِد مَاهُو كَائِن وَمَوجُود عِندَنا، شَيَاطِين في الأَرض كَثُرت ثُقُوبها، مُمثلها من **مُنَظَّمَة عَرَب ضِدَّ الفَسَاد؛** هي التي عَبّر الكَاتِب بهَا "بالملح الفَاسِد" وهذا المعنى البَعيد، ظاهريًا هذه المنظّمة نَشأَت لمعَالجة المشَاكل؛ لكنّها هي الفَسَاد عَينه، ممّا جعَل الكَاتِب يَسخَر مِن تَنَاقض الموَاقِف، والمؤمِن إذَا أَرَاد مُحَارَبة الفسَاد، يُحَارِب فَسَادَه ثمّ فسَاد غَيرِه؛ لكنّ الأمَر هُنا مختلف تمامًا، وَهُو مَا جَعل الكَاتِب يُبدِي تَحسُّره بِواسِطَة الاستفهَام (لماذا).

- **القُصُور العَقلِي:**

مِن أَمثِلَة جَهل أَصحَاب النُّفوذ والمال، في حُسنِ صَرف مَالهِم فِيمَا هُو خَير، وَمثَال ذَلِك مَا قَامَت بِه شَرِكة سُونطرَاك، في صَرف أَموال لِتشهر مذكرات فنّانٍ كُوميدي، قال الكاتب سخرًا منهم: «وَلنَتسَاءَل ــفي بَرَاءَةــ مَاهِي القِيمَة الفِكريّة وَالأَدَبِيّة، وَمَاهِي الإِضَافَة التّارِيخِية التي تُقَدّمُها هَذِه المذكّرَات حتّى تَتَعَاوَن عَلى نَشرِها شَركتَان عِملاَقَتَان؟»[2].

استهّل الكَاتِب انشِغَاله "بما" الاستِفهَامِية، المسبُوقَة بِشِبه الجملَة (في البراءة)؛ التي تُؤَكّد حُسنَ النّيَات في التّساؤل، يخفِي سُخرية مُبطنّة، أَنزَل نَفسَه إِلى مَوضِع الطِّفل البَريء؛ الذي عَظُم شُعوره، فَجَاء التّساؤل عميقًا، كَيف لِشركَات كَبِيرة تُزَلزِل المسَامِع، تَتوحّد في نَشرِ مُذَكّرات شَخصِيّة كُومِديّة، مَا الأَمر الذي يَستَحِق النّشر، هَل تَتَضمن تَاريخ الجزَائر أَو تَوعِية لِلمجتَمع، صَحِيح قَوْل المثَل الشَّعْبي (المندبَة كبِيرَة وَالميِّت فَار)، هذَا هُو حَال أُمّتنا نَهتَم بالتّهرِيج والضّحِك فَقَط، حتّى أَضحينَا مَهزَلَة، قَد حَمل التّسَاؤل تعجبًا وَحِيرة، في مَصِير هَذِه الأَموَال، فَعِوض أَن تُصرف في أمور جَلِيلَة؛ كاستِرجَاع مخطّطَات تَارِيخيّة حَتّى نفيد مِنهَا، وَلَنَا أَدمِغَة تَحتَاج فَقَط مَن يَدعَمها، فَعَلى الشّركَات مِثل سُونطرَاك وَغيرهَا، أَن تَقُوم بِدَفع مِنح لمتَفَوّقِين، وتشجّعهم عَلى البَحث والتّعلم، بَدَل أَن نضيع في حلقَات التّهريج، والمهَازل التي تَدفَع الكثِيرين مِن الشّبَابِ الجَزَائِري إِلى الانتِحَار، وَهُو يَرى ثَرَواتِه تُنفق فِيمَا لا يُفيد؛ إنّه استفهَام يَنِم عَن حِيرة كبيرة، تَصدر مِن مُفَكر، يحمِل هّمَ وَطَنِه ومستَقبَل أبنَائِه،

(1) بدر الدين بن مالك الشهير بابن الناظم: **المصباح في المعاني و البيان و البديع**، تح/ حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، مج4، ط1، 1989م، ص:260.

(2) محمد الهاديالحسني، المصدر السابق، ص:34.

وَمِن تمَام السّخرية بأنّه اعتبَر مثل هذِه التّصرفات غير المسؤُولة، مِن طَرف بَعض المسؤُولِين قصورًا عقليًا يحتَاج إِلى دَواء.

استهزأَ الكَاتب بالعُقول الفَرنسيّة؛ التي هَيّأ لهَا أنّنا سَوف نَمشِي، حَسبَ نزَواتِها النّفسِيّة وَغرَائِزَها غَير المتَوازِنة، ذاتيًا وانفعاليًا واجتماعيًا قائلًا: «أمّا التّاريخ فَهو يَشمَل الأَغلبِية السَّاحِقَة من النّاس، فَهو بالنّسبة لِلأمم "بمثَابَة العَقل للأَفرَاد"، فَهل يُمكِن لِفَرد أَن يَعيش مَعِيشَة سَويّة بِدُون عَقل ؟»[1].

يحتَلّ هذَا الاستِفهَام الدّرجَة الأولى مِن سُخرية الكَاتب، يَقصِف بِه جَبهَة الاستِعمَار فاختِيَاره للفظَة "سَويّة" وَبِدُون عَقل؛ لا للتّسَاؤل بَل يُهزِؤهم بِطريقة غير مبَاشِرة، فَهُو يُلَمِح بِطَرِيقَة تُبطّن سُخرية لاذعَة لمن يَعِيش عَلى غير عقل، فَهُم في نَظَرِه أَشبَاه البَشَر؛ لأنّهم لَو كَانوا مِن البَشر، لما حَاولُوا طَمس تَاريخ الجَزائِر؛ الذي يُمثّل عقْل الجزَائِريين، فَهم كالحيَوان لَا يَهُمُهم التّاريخ وَلا يُفَكرون بِذلك، وهمُّ فرنسا الاستعمارية أَنْ لا يَعِي النّاس تَارِيخهم؛ لأنّ في مَعرِفة التّاريخ وَوَعيه قَضَاء عَلَيها، وَلِذَلِك نَجِدها تَسعَى جَاهِدة أَن لا نَكتَشِف جَرَائِمها، والتّارِيخ سِلاَح فَتّاك إِذَا أَحسَنَت الشُّعوب قِرَاءَته.

عُلِمنَا الصِّدقَ والأمان، وقَلبناهُ ظلالاً وبهتانًا، حقيقة عربية أضَاعَت عقلَها، هَذه مَعَاني حَملَتها حِيرَة الكَاتِب مِن قَومِه فصرّح قائلاً: «وكيف لا يضحك علينا السّفهاء، ولا يبكي الحلمَاء، ونحن عِندَنا أَهْدَى كِتَاب ، مُيّسَر لِلذّكر، مُوجب لِلفكر، فيه نَبَأ من قبلنا، وخيُر من بعدنا، وحكم ما بيننا... ولكنّنا عَنه مُعرِضون، ووراء غيره لاهِثُون، وبالضّلال معتصمُون وبالبَاطِل متمسكُون، بَأسنا بينَنا شديد، تحسبنا جميعًا وقُلُوبنا شتّى، يلعن بعضنَا بعضًا، ويكيدُ بعضنَا لِبعض ويضرِب بعضنَا رقابَ بَعض»[2].

وظّف الكاتب أَدَاة الاستفهام (كَيْفَ)؛ ليَستَفسِر عَن حَال الأُمّة، وَصَاحَب هَذَا التّسَاؤل، سِلسِلة مِن الفَواصِل المسجُوعَة، متفقَة في حَرف (النُون)؛ وَهو حَرف أَغَن عَلى حَدّ قَوْل ابن مَالِك، وَحمَل هذَا الصّوت ضَمِير الجَمع (نَحنُ)، يَقصِد بِه المسلِمين العَرب، سَاخرًا مِن الحَالَة التي وَصَلنَا لهَا،

(1) محمد الهادي الحسني، المصدر السابق، ص:73.

(2) المصدر نفسه، ص:162.

مُعجزَتنَا القُرآن مِفتَاح كلّ عِلم، وَدَلِيل الضّائِعين الحَائِرين، وَنعجَز عَلى القيامِ بِبناء حَضَارة، نَجهَل مَا بِيَدينَا، وَقَد أَشفَق الكَاتِب عَلى تَصَرّفَاتِنا؛ التي لَا تُمثّل الإسلَام، مَا الذي يمنَعُنا مِن أَن نَشغَل أَدمِغَتنا، ونَلتَفِت للاتجَاه الصَحِيح، وَنُسلّم الحُكم إلى العَليمِ الحكِيم، الذي أَكرَمَنا بالعقلِ، والرّسَالة الإنسَانِيّة الجَلِيلَة، فَقد حَقّ لَه بهذَا الاستِفهَام، أَن يَتَعمّق إحسَاسه بالمصير الذي آل إليه المسلمون.

استَخَفّ الكَاتِب بِأَحدى المستَشرِقَات؛ التي هيّأت لها نَفسها؛ بأنّها عَالمة زَمَانِها، يُوجّه لها أَسئِلَة يُعلّمها مَا تَجهَله قائلاً: «فَأي مَنطِق يَقبَل هَذَا الخَلِيط ؟... وَهَل يَلتَقِي المنطِق السّليم مَع التعصب الذّميم ؟... وأي مَنطق هذا الذي يجيز للنّاس ذكرانًا وإناثًا أَن يَتزَوجُوا أَمثَالهم ؟ وأيّ مَنطِق هَذا الذي يَستَقذِر الطّهارة، وَيستَطهِر القَذَارَة ؟»[1].

أَورَد الكَاتِب في قَولِه العَدِيد مِن الأسئِلَة، تَرواحَت بَين أَدَاتين "أيّ" و"هَل" يحمِلان إنكارًا؛ للأفكَار التي تَجلّت في كِتَاب الإيطَالِية **أُوريَنَا فَلَاتشِي[Orian Fallaci]**(*)، عبّر الكَاتِب بأُسلُوب الاستِفهَام مُتَهَكّمًا، بِنَبرَة سَاخِرة نافيًا لِتَشويهِهَا قِيمَ الإسلام، استَعمَل أَدَاة "أي" كَي يميّز بَين أَحد الأَخَرَين متمثلة: (المنطِق السَّلِيم ≠ التّعصُب الذّمِيم، يَسْتَقذِر الطّهَارة ≠ يَستَطهِر القَذَارَة) يُصحِّح تَصورَاتها في مَفهُوم المنطِق؛ فَقَام بمقَابَلَة تُوضّح ذَلِك وَهِي كَما عَرَفَها البَلَاغِيُون: «بأَن يَأتي بمَعنَيَين مُتَوافِقَين أَو أَكثر، ثمّ يَأتي بمَا يُقَابل ذَلِك عَلى التّرتِيب»[2]،كَشَفت هَذه المقَابَلة مَا فَصلَته أَدَاة الاستِفهَام، التي عبّرت عَن قَلق وَحِيرة الكَاتب عَن حَال أمّته، وَما تُوَاجِهه مِن أَزمَات، مُتَمثّلة في أَشخَاص أَمثَال هَذِه الإيطَالِية؛ التي لا يَهُمُها علمٌ أو تبيان إبهام، بقدر ما تؤديه وَظِيفَتهَا كمُستَشرِقَة خَبِيثَة.

(1) محمد الهادي الحسني، المصدر السابق، ص:184.

(*) **أوريانا فالاتشي**: ولدت في 29 يونيو 1929 في ـفلورنسا ـ، توفيت يوم 15 سبتمبر 2006، في نفس المدينة، فهي صحفية وكاتبة مقالات، مؤلفة ومحاورة سياسية إيطالية، كانت متمردة سابقة في حركة المقاومة الإيطالية، ضد بينتو موسولوني خلال حرب العالمية الثانية.

(2) السيد أحمد الهاشمي: **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،(د،ط)، (د.س)، ص:304.

- **السّيَاسَة الفَرنسِيّة:**

اللّغَة الفَرنسِيّة:

عبّر الكَاتِب عَن مَشَاعِره السّاخِرَة، عَن تِلكَ الفِئَة التي تَرى في الفَرنسِية، لُغَة رُقيّ وَحَضَارَة، وَخَاصّة وَإن كَانَت أَقوالاً، صَادِرة مِن مُثَقّف وَأَدِيب، فَتِلكَ هِي الطّامة الكُبرى فَتَسَاءَلَ قائلاً: «هَل تَشْعر حقًّا تِسعدِيْت (رمز المرأة الأمازيغية) وهلْ يَشعُر أَمقرَان (رمز الرجل الأمازيغي)؛ بِأَنّ الفِرَنسِية تُعَبّر عَن كَيَانِهِمَا أَعمَق تَعبِير؟»[1].

نَجد الكَاتِب في هذَا التّسَاؤل، قَد كَرّر أَدَاة الاستِفهَام "هل" مَرَتَين، (فهل) الأُولى حَملت إنكار المرأة الأمازيغية، في أَن تُعوّض لُغَة أُخرى لُغتها الأم، وَ"هل" الثَانِيَة حَملَت كَذَلك إنكَار الرّجل الأَمَازيغي، بالإضَافة تَضَمَنت مَعنى التّهويل والتّعظيم، لِقبح مَا قَالَه مُولُود معَمرِي بِقول الكَاتِب (أَعمَق)، وَاتخذ الكَاتِب مِن صِيغَة المبَالَغَة وَهِي: «دَعوى المتَكلّم لِلوصفِ اشتدادًا أَو ضعفًا عَلى مَا فَوق مَا يسلمه العَقل وَيستَقر بِه، وَذَلِك المقدَار إمّا مُمكِن في نفسِه أو غَير مُمكن، والممكِن إمّا مُمتَنِع عَادَة أَو غَير مُمتَنِع»[2]؛ حتّى يَسخَر مِن قَول المسخُور مِنه وَيُهَوّل مِن كَلَامِه، وتُعدّ أُسلُوبًا لِسُخريَة الكَاتِب، مِن الذِين يَستَمسِكُون بِلغةٍ غَير لُغتِهم.

- **الحَقِيقَة الفرَنسِيّة:**

استَفهَم الكَاتِب عَن طِينَة الجِنِرَالات الفَرنسِيين ومِمّا صَنَعَت؛ حتّى طَاوَعَتهم قُلُوبُهم بِفِعل هَذِه المجَازِر قَائلاً: «إِذَا كَانَ هَذَا فِعلُ نُبَلاء فَرنسَا، فَكيفَ هِي أَفعَال سُفَهَائِها، وَصَعَالِيكِهَا وَأَرَاذِلهَا ؟، فَأيّ نَبيل هَذا الذِي جَعَل دِيغول يُشَكّل لجنَة مِن ثَلَاثَة أَفراد _فَقط_ لِتَحقِيق في أَبشَع جَرِيمة أَنطَقَت الأَجِنّة في الأَرحَام وَأَجَنّت ذَوي الأَحلَام ؟ وَأيّ نَبيل هَذا الذِي جَعَل ديغُول يُنهِي أَعمَال لجنَتِه بَعد 48 سَاعَة مِن بدءِ أَعمَالهَا؟»[3].

(1) محمد الهادي الحسني: المصدر السابق، ص:49.

(2) بدر الدين بن مالك الشهير بابن الناظم، المرجع السابق، ص:225.

(3) المصدر السابق، ص،ص: 105-106.

قدّم الكَاتِب هذِه الأسئِلَة الثّلاثة؛ التي لخَص فِيهَا شَخصِية الجِنِرَال دِيغُول، وَأَخلَاق مَن يَتّخذ منه أنموذجًا، نظرًا لما بَدَر مِنه مِن جَرَائم تُحَار مِنهَا العُقول، فَقَد أَخرَج الكَاتِب الاستِفهَام إِلى مَعنَى التّحقير والازدِرَاء مِن جِهة، والتأسف عَلى حالِ أمّةٍ تدّعي التّقدّم والتّطور والقوّة مِن جِهَة أُخرى، وهِي عَلى هَذِه الحَال مِن الحقَارَة، فَقد استَعَان في ذَلِك بأُسلُوب السّجع في (أَنطَقَت الأَجِنة في الأَرحَام، وَأَجنّت ذَوي الأحلَام)، وفي خِتَام المقَالَة وَهَذِه الاستِفهَامَات قدّم تعريضًا عَلى شَكل استِفهَام قَالَ فيه: «وَأُبشّر هِتلَر في قَبرِه أَن وَرِيثَه لمَ يَنتَظِر تَقسِيم التّرِكَة، لأنّه لَا وَارِث مَعَه وَبَدَأ في استِغلَال الميرَاث في اليَوم الذِي انتحَر فِيه، أَفلَا أَكُون مصيبًا إِذَا لمَ أعتَبر ديغولًا نبيلاً»[1] استفهَم بالهمزة (أ) وجاء استفهامًا إنكاريًا لصِفة نُبل ديغُول، أَخَذ كُل مسَاوئ هِتلَر في يَوم مَوتِه، وَلم يُقدّم لأحد شيئًا؛ وَهو في الحَقيقة مدح في غَرض ذَم وَهي صِيغَة: «يُستَثنَى مِن صِفَة ذَم مَنفِية عَن الشّيء صِفَة مَدح بِتقدِير دُخولهَا في صِفَة ذَم»[2]، مَدَحه في أَن لَا يَستَحِق هَذَا الإرث غَيرَه، عِندَما يَعرِف أنّ هَذا الإرث يَتَمَثّل في الجُرم، وكأنّه يَقُول لَا يَستَحِق هَذا الخبث، أَفضَل مِنك فَهو مِثَال وَاضِح لِلخُبث.

- **التّحَالُف الدّوَلي:**

أورد الكاتب استفهامًا، تضمّن تصغيرًا مِن شأْن فرنسَا، ونَفّس بِه عَن غَضَبه المدمُوج بالفَكَاهَة قائلاً: «أَفَكُلَّمَا رثّ حبلُ الاستعمَار وَتَصدع جِدَارَه، وَأشرَف عَلى الفَنَاء في الحربَين الماضِيتين، جَاءَت أَمرِيكَا تُكفكِف دُمُوعَه، وَتنظّم جُمُوعَه، وَترَمّم جِدَارَه وَتُعَمّر بالدُولَار دَارَه؟»[3].

قدّم الكَاتِب في تسَاؤلِه صُورَة فنّية سَاخِرة، باستعمَال حَرف "أ"، تَمَثّلت فِيها أَمرِيكَا دَور الأُم وفَرنسَا هِي الابن، كلّما خَاضَت فَرنسَا مَعرَكَة مَع جِيرَانهَا وَخسِرت، رجعَت بَاكِية لأمّهَا أَمرِيكَا، تسكِتهَا وَتدَاوي جُرُوحَها، لِتَقوى وَتخرُج أَقوى عَن ذِي قَبل، فالكَاتِب مُتذَمر، وَقد استَعَان بِهَمزَة الاستِفهَام؛ لِتَعمِيق أَسفِه وَحِيرَته، من هذه التي تدّعي القوّة؛ ولكِنّها في الحَقِيقَة ضَعِيفَة تَلجأ إِلى أَمرِيكَا، كي تَستَمِد مِنهَا قُوتَهَا المادِية والمعنويّة، وكُل ذَلِك جَاء بِأُسلُوب يُطّن سُخرية اللاذِعَة،

(1) محمد الهاديالحسني،المصدرالسابق ص:107.

(2) عبد العزيز عتيق: **علم البديع**، ص:164.

(3) المصدر السابق، ص:111.

والسُّخرية مِن فرنسَا وضُعفِها، استعَان بِأَلفَاظ مِن حَقل الضّعف (رثّ، تصدع، فنَاء، تُكَفكِف، دُمُوع، تُرمِّم)، يَكشِف هَذا الحقَل عَن الحَقيقة الفرنسية الجبَانة وتحَالفتها، وأنّها مهمَا ادّعت القُوة، فذَلك مظهرٌ لِتَستُّر حَالَتها المزرِية، وَقد أَورَد صُورَة فنيّة ساخرة أيضًا في قَوله: «الذّهب والزّيت، والجزَائر وصَحرَاؤها غنيّة، بهذَين النّوعين فَكيفَ لَا تَكُون مَهوى أَفئِدَتهم ؟ وكَيف لا يَسِيل لعَابهم إذا ذَكروا أَن الجزائِر مِفتَاح افرِيقَيا كلّها؟»[1] واستعَان بأَدَاة الاستِفهَام "كيف"، في بِنَاء هذِه الصّورَة، تصويرًا لحالة فرنسا، وتصويرا لشعور الكاتب بما يحمله من تعجب وتوبيخ، مع استهزاء من فرنسا، وهي كناية على جوعها مثلها مثل كلب شوارع سال لعابه، فهجم على اللحمة (بترول–زيت–ذهب)، الموجودة في بلادنا بطريقة وحشية.

(1) محمد الهادي الحسني، المصدر السابق، ص:112.

المطلب الثالث: أسلوب التّنكِيت والتّنَدُر وَأُسلُوب التّبكِيت

يعتبر المقال الساخر نوعًا أدبيًا، يتّخذ من النقد وَسِيلَة، مِن وَسَائِل التّوجيه الأخلاقي والاجتماعي والسّياسي، ولِكَي يَنقُد هَذِه الاتجَاهَات يَحتَاج إلى حُجّة، تَكُون دليلًا عَلى كلاَمِه وهذا أسَاسُ المقَال، وَتِلك الحجّة تستَنِد عَلى خَلفِية مَعرِفيّة مُتَمثّلة في: (خَبر، قصّة مُضحِكة، نُكتَة، نَادِرة، شِعر، أَمثَال...الخ) ليبنيَّ بها حيزًا لِضحِيّة الأَثَر ويتمّ ذلك: «بِتَقدِيم ضَحيّة بِنَاء نَص المفَارَقَة (...)، لابدّ لهَا أنْ تُعِيد صَقل فُنُون القَول التي استَمَرّت، وَهي: السُّخرية والنّكتة والضّحك، المبَالغة، التّقليد السّاخر وَتَخفِيف وَتَضخِيم القَول عَلى طَرِيقَتِها الخاصّة في أَدَاء الفِعل»[1]، فقد تفنّن الكاتب في الجانب الذي يختص بإسقاط المسخور، بطريقَته الخاصّة مستخدمًا في ذلك أسلُوب التّنكِيت والتّندر، وأيضًا أسلُوب التّبكِيت؛ الذي يعد فرعًا من الأُسلوب الأول، إذ يعتمد على الرّمز والإِشَارة أَدَاة لهُ، لِلكَشفِ عَن حَقِيقَة المسخُور مِنه.

كَانَ الكاتب في كل موضوع يتناوله يسرد مواقفاً؛ إما يجسدّها في قالب قصّة مضحكة، أو يقابل تلك المواقف بوقفَات تاريخيّة معروفة، تكون ملمحًا فنيًا لموضوعاته؛ التي تَوَاتَرت حول قضايَا الأمّة العربيّة، وما أدّى إلى تَأَخّرِهَا مِن حمَاقة حُكَامِها وخِيَانة أَولَادِهَا، الذين يَعمَلُون تَحتَ النّظام الصهيوني هذا من جهة، وما يقابلها بالمثل قضايا وطنه ومخلّفات الاستعمار.

II)- أسلُوب التّنكِيت والتّندُر:

التَّنْكِيتُ من أصل نَكَتَ، جاء في "لسان العرب": «النَّكتُ أن تَنْكُتَ بِقَضِيبٍ في الأرض، فتؤثر بطرفه فيها (...)، النَّكتُ قرعك الأرض بعود أو بإصبع، يَنكُتُ إذا انتبه أي يفكر ويحدِّث نفسه وأصله من النَّكتُ بالحَصى»[2]؛ إذن النَّكتُ هو إحداث أثر، في الأرض سواء بالإصبعِ أو أيَّ أمرٍ آخر، أما التَّندرُ من أصل: «نَدرَ الشَّيءَ نُدورًا: سَقَط، وقيل سقط وشَذَّ (...) ونَوَادرُ الكَلاَمِ

(1) عاصم شحادة علي: **المفارقة اللغوية في معهود الخطاب العربي" دراسة في بنية الدلالة**"، مجلة الأثر، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، (د،مج)، ع10، (د،ت)، ص:5.

(2) ابن منظور، **لسان العرب**، تح/ عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، (د،ط)، 2009، ص:114.

تندر، وهي ما شذَّ وخرج من الجمهور، وذلك لظهوره، وأندر غيره أي أسقطه»[1]؛ ومنه نلاحظ أنّ التّندر من النّادرة، وهي من القص التي يسرد لضّحك والفَكَاهة، مِن شَخصٍ أو فئةٍ أو مهمَا كضان، فقد دُمِج كل من التّنكِيت والتّندُر في أُسلُوب وَاحد، لدّلالَة عَلى مَفهُوم اصطلاحي جَديد، عرّفه ناصر بُوحَجَام بقوله: «يعرَف بأسلُوب النّكتة أو النّادرة السّاخرة، التي هي خَبر أَو قِصَّة قَصِيرَة مُضحِكَة، عِمَادُها ذَكَاءٌ حَاد وَبدِيهَة حَاضِرة، وَتخَلص فكه وردٌ سريع وَأَسَاسُها تَنوِيه خَفيٌّ أو تلميحٌ ذكيٌّ يبتعد عن التّصريح»[2] خفّف الكاتب بالتّنكِيت والتّندُر مَرارة الوَاقع الأليم، واختصر بالنُّكتة والنّادرة مقاصده في سُخر.

- **السّيَاسَة الصُّهيُونِيّة:**

1- الخِيَانَة:

ومن العوامل التي جَعَلَت أَمرِيكَا تَمدّ جُذورها، إلى أَبعد مَا يَكُون في الأَرَاضي العَربيّة، أَبنَاءها العُملاء لِصَالح الاحتِلال، وَجَاءت سُخرية الكَاتِب، تمسُّ خَونة العِراق قَائلاً في هذا الأَمر: «إنّ أَمرِيكَا تَمتَلِك قوّة الحدِيد والنّار، وَهي تَستَعمِلُها بِقسوَة شَدِيدَة، وَبِكثافَة كبيرَة لِبَسطِ سَيطَرَتَهَا، ومدّ هَيمَنَتِها عَلى مَنطِقَتِنا، ولكنّها متأكّدة أنّ تِلكَ القوّة وَحدَها، لا تَكفيهَا لِتحقِيق مخططها، وأنّ الجمَاهير العربية ستتصدّى لها، فجَاءَت بِأُنَاس تَضعُهم في الوَاجِهة، لِتُوهم هَذِه الجمَاهِير أنّها مَحكُومة بِأضبنَائِها مُسيّرة بهم، وهُو مَا فَعَلته إنجلترَا مِن قَبل في العرَاق، حَيث نصب ملك كَان يَقُول: "أَنا موظّف عِند بريطَانيَا بدَرَجَة مَلِك و"أحاطته بزمرة" كالحمير، لا يَهُمُهم وإلّا مَلئ البَطنِ بالشّعِير»[3].

خَبَر مَأسَاوي بِنفس كُومِدِيّة، مَرَارَتُه في وَضعِ العِراق؛ التي هَيمَن عَليهَا الأَمرِيكَان تمامًا، كَمَا فَعل الإنجلِيز في الماضِي عندَ احتلَالهم لَه، وَنرى الكاتِب حتّى يَدعَم قَوله ولكي يبيّن تَذَمّره وسخريته من هؤُلاء، حِين شبّه أَذنَاب الأَمرِيكَان مِن أَهل العِرَاق بالحمير، وَهَذَا عَلى سَبِيل التشبيه المرسل: «وَهُو مَا ذُكِرَت فِيه أَدَاة التّشبِيه»[4] واتفاق البرلمانيين والحمير في صفة الأكل وكيفية أكلها فقط،

(1) ابن منظور: **لسان العرب**، تح/عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،مج5، ط2، 2009 ، ص: 233.

(2) محمد ناصر بوحجام: المرجع السابق، ص،ص: 305-306.

(3) محمد الهادي الحسني: المصدر السابق، ص،ص: 28-29.

(4) عبد العزيز عتيق: **علم البيان**، ص:80.

أعطت هذه الصورة جمالاً في القَول، وَقَربَت المعنَى لِلقَارِئ؛ حتّى يَدرِك مَدى حَقَارَة وَخِيَانَة هَذِه الفِئَة، مِن أَبنَاء العِرَاق لِوَطَنِهم، فَهم لَا يَملِكُون حس الوَطنية، وَلا دَافِع حُب أَرضِهم، التي فَتَحُوها لِلمُستَعمِرين يَعيشُون فيها فسادا، وَموطِن التّندُر أَن بَعض أَبنَاء العِراق، ممن بَاعُوا وَطَنَهُم أَشبَه مَا يَكُونُون بالحمِير، يتَحكّم غَيرهم في تَسيرِهم بَعد أَن يشبعوهم شعيرا، وَمن كَان هَذا شَأنُه؛ فَإنّه سَيظلّ وَسِيلَة هَامّة للتّندُر والسُّخرِية.

ثُم يُعيد الكَاتب تندرًا آخر؛ لَكِن هَذِه المرّة يُعطي مِثالًا حيًّا، بِتسمِية أَحد خَونَة العِرَاق قائلاً: «لَكِن عَينُ بريطانيَا تَركزت عَلى فَيصل بن حسين، الذِي كَان آنذَاك في لُندُن يَبكِي وَيشتَكي، فاجتَمَع بِه مَسؤُول بريطَاني في مَطعَم يُسمّى "شب إن" في وايتهول، وَعرَض عَليه الأَمر فَلَم يَرفُض، وَعَمَل بالمثَل العَرَبي القَائِل: "مَا لَا يُدرِك جُلّه لَا يَترُك كلّه" ، وَرَضيّ أَن يَكُون كَمَا يَقُول المثَل العَرَبي الآخر كالحَادِي وَلَيس لَه بَعِير»[1].

التّنكِيت والتّندُر وَاضِح في قصّة **فَيصل بن حسين**[*]، الذي صَوّره الكَاتِب في وَضع مُتسَول يَتَرَجّى بريطَانيَا، حتّى يَخُون بَلدَه وَيَبيعَ العِراق بكلّ صَدر رَحِب، والأَمثَال التي اتخذَهَا الكاتب دافعًا لينقده، وَهو يَعرضهَا أَكثَر سَلاسَة وتشويقًا، وعلاجًا لِلنّفس الضّيقة في القِراءة بإمتاعهَا، صوّر بها تِلك المخَالَفة بِشكل سَرِيع، فَهو يَصف فَيصل حسين، بالرّجل الذِي يَرمي بِنفسِه في أَحضَان الاستِعمَار، رَجاء أَموال يَجنِيها، وَلَا يَهمُّه في ذَلِك أَن يَفهم شيئًا، دُون وَازِع مِن خَلق أو ضَمير أَو عَقل وَاعٍ، وكانت هذه القصّة صُورة من صور الخِيَانات العربيّة؛ الذين يدّعون أنّهم مُنَصبون بإرادة الشّعب، وبكل مصداقية؛ وَلَكن في الحَقِيقة حُكَام تَحتَ رَحمَة الغَرب، كلّما خَانُوا أَكثر كلّما أَرضوا أَسيَادهم عَليهم، وأبقوهُم في الخدمة.

---

(1) محمد الهادي الحسني، المصدر السابق، ص:214.

(*) **الملك فيصل الأول بن علي الهاشمي** (1883–1933): ثالث أبناء شريف مكة حسين بن علي الهاشمي، وأول ملوك العراق (1921–1933) وملك سورية لسنة (1920)، على إثر ثورة العشرون في العراق ضد الاحتلال البريطاني، عقد مؤتمر في القاهر عام 1920، بحضور ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطانيا آنذاك؛ للنظر في وضع العراق أعلنت بريطانيا عن رغبتها في إقامة ملكية عراقية (التحول من استعمار مباشر إلى حكومة إدارة وطنية تحت الانتداب)، ورشح في هذا المؤتمر فيصل بن حسين ليكون ملكا للعراق.

2- نَظرية الإستِشرَاق:

فَقَد أَورَد الكَاتِب خبرًا مضحكًا، يُبطّن تَوبيخَات؛ لأصحابِ المؤامرات الإستشراقيّة؛ والتي تَهدِف إلى تَحريف المقوّمات الإسلَاميّة، مِن أَمثَال ذَلِك أَعمَال الإيطاليّة أُورينَا فَلاتشِي**(Oriana Fallaci)**؛ التي سَبقَ وعرّفتها ملقّبًا إيّاها الكَاتِب بالإرهَابيّة، حتّى يسقِطهَا مِن مَكَانة ليسَت لهَا، وتَدّعيهَا قائلاً: «بالرّغمِ مِن أَفكَار هَذِه المخلُوقة الإرهَابيّة؛ فَقَد تكرّم البَابَا بينديكت 16، واستقبلَها، وبَاركهَا ولعلّهَا اعترَفَت لهُ فَغفَر لهَا، وَلمَ أستَغرِب ذَلِك من "البَابَا"، فَأنَا عَلى مَذهَب الشّاعِر محمد عبد المطلب القائِل: "فَما كُل بَابَ لِلمَسِيح مُقرّب»[1].

عند تأمل الخبر، الذي نقله الكاتب عن أورينا فلاتشي**(Oriana Fallaci)**، استعمل ضمير "الهاء" المفرد المؤنّث الغَائب، والهاء حَرف مَهمُوس كمَا قَرّر عُلمَاء الأَصوات؛ لِدّلالَة عَليهَا في ثَلَاثة فَواصل مُتَتَاليّة مسجُوعَة، أَوردَه الكَاتِب مَع حَرف المدّ، فكأنّه يَضحَك بِطرِيقَة غَير مُبَاشِرة، وَوُرُدهَا متَتَاليّة تُوحي بمنتَهى السُّخرية، التي تَنتَاب الكَاتِب مِن جهة، وَهجَاء لهذِه المستَشرِقة، حِين تَعتَقد أن الدِين الإسلَامي عَقِيدَة إرهَاب، وحتّى يُثرِي الكَاتب الخَبر، وَيعطِيه صِيغَة فُكاهِية، قابَلها بمبدَأ في المسِيحِيّة هُو "الخطيئة"؛ وهي تَحريف مِن أَربَاب الفَاتِيكَان لمصَالحِهم، مِن جِهة أنّها المرأة المثَالِية، وَمن جِهة تَعتَرف بخطَايَاها، فَإن كَانت حقًّا مِن دُعَاة النّصرَانيّة، وَعَلى مَذهب عِيسَى عَلَيه السّلام، فَلِمَاذا تجعَل بَينَها وَبَين الله وسيطًا، تعترِف لَه بِخطَايَاهَا لِيغفِر لهَا.

- **القُصُور العَقلِي (الجهل):**

مِن تَمام القُصور العَقلي الأمة العَربية، عَدم ضَبطِهم تاريخًا هجريًا موحدًا، حيث أَورَد الكَاتِب قولًا، أَخذَه مِن أَحد المفَكرِين، يَختَصِر بِه مَهزَلَة العَرب بَينَ الحُلم والحَقِيقة: «لقَد مَات الأستَاذ مُولُود قَاسِمِي رَحِمَه الله وَفِي نَفسِه شَيء بَل أَشيَاء مِن هَذِه الملهَاة _المأساة_ وَصَل بِه الأمر أَنْ جزم أَنّ فلسطِين لَن تَتَحرّر إن اعتَمَد المسلِمُون في تَحرِيرِهَا عَلى التّارِيخ الهجرِي، لأنّهم لَو تَواعَدُوا عَلى ذَلِك لاختَلَفُوا، وَمعنَى ذَلِك لَو أنّهم اتّفَقوا عَلى الهجُوم عَلى الصّهَاينَة، في أَوّل مُحرَم فَسَيَكُون بَعضُهم في

(1) محمد الهادي الحسني، المصدر السابق، ص:186.

30 ذِي الحجّة وَسيَكُون بَعضُهم في 02 محرم، فَيكُون الفَرق بَينَهم ثَلاثَة أَيَّام، وَهِي مدّة كَافيّة لينتَبِه العدو، ويتّقى عُنصُر المفَاجَئة وَهُو مِن أهم عَوامِل النّصر»[1].

نَقَل الكَاتِب خبرًا عَن **مُولُود قَاسمي**(*) حَوّله إِلى نَادِرة، ارتَكَز عَلى عُنصر التّضَاد مِن النَاحيّة اللّغوية بَين المفرَدَات،حَتّى يُبرِز الفِكرَة الرَئيسيّة التي يُشِير إِليهَا بِشَكل مُخفِي، وَمِن بيْن المتَضَادَّات(مَلهَاة ≠ مَأْسَاة) و(اختَلَفُوا ≠ اتّفَقُوا)، واختِلاف في الأَلفَاظ دَلَالَة عَلى الاختِلاف في الأفعَال والتّصَرُفَات، وَهَذَا حَال العَرب فَهم متّفقون على الاختِلاف، وَنَجد أنّ مُولُود قَاسِم يتّخذ من التّندُر، مِن مَوقِف العَرب والمسلِمين، وَسيلَة لِلوقُوف على مهازلهم، والحَال أنّ الصّهاينة لا يُقلِقُهُم ذَلِك، بَل الأَمر يُسعِدهم، عِند مَا لا يتّخذ المسلِمون موقفًا موحدًا، يجمَع شَملَهم وَفِكرَهم في ضد العُدوَان، وَفلسطِين لَن تَتَحرر مَادَامُوا مُتفَرّقين مُشتَّتين، واحتكَامهم إِلى التّاريخ الهجرِي؛ الذِي لم يجدُوا لَه صِيغة تُوحِدُهم، دَليلٌ واضحٌ عَلى تَشرُّدهِم.

- **الحَقِيقَة الطُّرقِيّة:**

بَعض البَشر يُحب أَن يُشهِر نَفسَه، عَلى حِسَاب غَيرِه، فَيَتطَاول عَلى أَسيَادِه حتّى يجلِب الأضواء لِنفسِه، وَهَذا حَال أَحد أَعضَاء **سرنديكة**(*)، آذى العلامَة عَبد الحَمِيد بن بَادِيس فآذاه الله، تَحدّث الكَاتِب عَن هَذِه القصّة المضحِكة قائلاً: «وَقَد أَرَاني الله في هَذَا الشّخص آيَتَين، جَعَلَتنِي أُصدّق مَقُولَة الأستاذ الفَاضِل مُحمَد فَارِح، أنّ مَن آذَى ابن بَادِيس أَهَانَه الله، وَلَقِي مَا يسُوده، فَمنذ بِضع السَنَوات أُقِيم في مُستغَانِم مُلتَقى عَن الفِقه المالِكي، وَبَعد أَن أَخذ الحَاضِرُون مَقَاعِدَهم، وَدَخَل

(1) محمد الهادي الحسني، المصدر السابق، ص:20.

(*) **مولود قاسم** (1927–1992): ولد بقرية أيت عباس بمدينة بجاية، الواقعة بمنطقة القبائل الكبرى، أو كما عرف بمنطقة الجبال جرجرة، أمازيغي الأصل وهو مجاهد كبير في ثورة التحرير المباركة، كان مناضلا سياسيا نشطا في الدفاع عن قضية وطنه العادلة، تولى منصب مدير في الوزارة الخارجية، فوزيرا للتعليم الأصلي للشؤون الدينية ومستشارا لرئيس الجمهورية، مسؤولا في حزب جبهة التحرير، ومسؤول على مجلس الأعلى للغة العربية.

(*) **السنديكالية**: هي مذهب تغييري يستهدف إحداث تغير الإشتراكي في المجتمع، عن طريق الاستيلاء على الدولة ومؤسساتها، بل عن طريق سيطرة العمال على وسائل الإنتاج والتوزيع والتبادل.

السّيد إلى الولايَة، جَاء هَذا الشّخص يُريد الدُّخول إلى قَاعة المحَاضَرات، فَأُوصِدَت البَاب في أَوجِهه، وردّ ردًا غَير جَمِيل، وَلم تَنفَعه لا"سَاندِيكته" ولا بسطَة جسمه»[1].

سرَد الكَاتِب قصّة مضحِكة؛ بِشَأن أَحد المتطَاولِين عَلى الشّيخ ابن باديس، ولم يَذكر اسمَه واكتفَ بِقَول (شخص)، فاختيَاره لهذِه الكَلِمة وَجهٌ مِن وُجوه استصغَاره للكَائِن؛ الذي أَرَاد أَنْ يهزأ بالشّيخ بن بَادِيس فَهو بِذَلك نَكِرة، مدعمًا فِكرَته بِقول **محمد فارح**(*)، فَقد أَورَد قصّة طَرِده مِن ملتَقى فكرِي جَرَاء مَا صَدر مِنه في حقّ الرّجَال الأوفياء، فَكَان جَزَاؤه أَن طُرِد مِن الملتقَى وأغلق الباب دونه، ولم تَنفَعه في هَذا الموقِف جَمَاعَته التي تَحمِل أَفكَارَه (Syntice)، ولا قوّة وضخَامَة جِسمِه.

- **السّيَاسَة الفرنسِيّة:**

استحضَر الكَاتِب التَّارِيخ الجَزَائِري، وَأَخذ مِنه بَطَلَة الأَبطَال **لَالّة فَاطِمَة نسُومر**؛ التي تمثّل بَصمَة عَار في تَارِيخ فرنسَا، حتّى يسقط مِن الاستعمَار وَأَذنَابِه قائلاً: «لقَد كَانَت فَاطِمة العَذرَاء (نسُومر) أَرجَل مِن الرّجَال، حَيث أَذلّت مَارشِيلَا وَسَبعة جِنرَالَات فَرنسِيين، يُعتَبر هِتلَر وَشَارُون أَمَام وحشيتهم طِفلَين وَدِيعَين، وَلَولا تِلكَ الرّجُولَة لما طَرَدَت فرنسَا مِن هَذِه الأَرض الطاهِرة»[2].

يحكِي الكَاتب قصّة تَارِيخيّة عَن البَطَلة نسُومر؛ لَكِن صَاغَهَا بِطَرِيقة فُكَاهيّة، فَهول لم يَسرد التّارِيخ بِطَرِيقَة حِكَائيّة، بَل نَجده يستَعِين بالنّكتة، حَتّى يَصِل بها إلى وَضعِ خُصُومِه، في دَائِرة مُغلَقة يقلّل بهَا شَأنَهم؛ ولِكَي يُبرِز قوّة ووحشيّة جنرَالات فرنسَا، عَقد مُقَارنة بَين أَتبَاعِهم المحدَثِين مِن (هتلر وشَارون)؛ اللَّذين لَا يَعدُوان أَن يكونَا طِفلَين صَغِيرين، قياسًا بهؤلاء الوُحُوش مِن جِنرَالات فرنسَا، كُل ذَلِك تُبيّن أَن امرَأة جَزَائريّة، استَطَاعَت أن تهزم هُؤلاء، فَماذَا لَو كَانت مَثيلَاتها مَوجُودَات بَين

(1) محمد الهادي الحسني، المصدر السابق، ص:96.

(*) **محمد فارح**: ولد في 1930 بمدية الميلة (ولاية جيجل)، أحد أعلام الصحافة بعد الاستقلال يساهم عبر نشاطه الصحفي في خدمة اللغة العربية والرقي بها، خدم اللغة العربية على عدة أصعدة، من التدريس إلى الصحافة المكتوبة فالمجال الإيقاعي، واشتهر بالحصة الإذاعية (لغتنا الجميلة) و(إيذاعي مسموع) التي أشرف على أعدادهما؛ عملان متميزان تفرد بهما في ساحة العمل الصحفي المكتوب، حيث قدم من خلالهما رؤية خاصة حول تقييم الألسنة ومحاربة اللحن والتلوث اللغوي.

(2) المصدر نفسه، ص: 125-126.

المسلِمين الآن، لاَشكّ أَنّ ذَلِك سَيكُون ويالاً عَلى إسرَائيل، وَهدَفُه الوَاضِح هُو تَسكِيت أَشبَاه الرّجال، الذين يقدّمُون حججًا، للهُرُوب مِن أَداء وَاجِبِهم اتجَاه الوَطَن، فامرَأَة وَاحدة تُعلّمُهم مَعنَى الرُّجُولَة، وَهي ذَاكِرة الحيَاة لَا تمحُوها الأَزمنة، لقَّنت جِنرَالات فَرنسَا درسًا.

- **انْحِرَاف رِجَال الحُكُومَة:**

وممّا وَرَد مِن أَقوَال الكَاتِب بِشَأن الفَسَاد الحُكُومي، طرفةٌ تَنَاقَلتهَا الأَلسُن، تَخُص أَحد المسؤُولِين الكِبَار قائلاً: «وَشبِيه بهَذه الطّرفة مَا يَتَنَاقَلُه النّاس عندَنا في الجزائر، وَهو أَنّ مسؤولاً كبيرًا كان يخطب في حشدٍ كبيرٍ وراح يحثّ على النّزاهة، فقام مناضلٌ بسيطٌ وأَراه عصَا وَهو يَقُول: "مَا هَذِه بِيَمِني ؟ فَقَال المسؤُول: هِي عَصا، فَسَأل المناضِل: أَين يُوجَد اعوجَاجَهَا؟ فَأَجَاب المسؤُول: في رَأسِها: فانفجَرَت القَاعَة ضحكًا، أَمّا المسؤُول الكَبِير، فَقد أَحسّ بِجَرحٍ كَبير وَرَاح يُبلّل شَفَتَيه بِلِسَانه الطّويل»[1].

اتّخذ الكَاتِب مِن القصّة القصِيرة المضحِكة، وَسِيلة لِنقد السّاسة الجَزائِريين، متندرًا بطريقَةٍ رمزيةٍ لحقيقِة الفسَاد المنتشِر في الجزائرِ، وَعدَم قدرَة هؤلاء عَلى الوفاءِ، بِوعودِهم التي قَطَعُوهَا لِلشّعب، فَهُم يُصلُحون لِلخَاطَبة والتّجمعَات لَا أَكثَر، وَقَد تَنَدّر الكَاتِب بهذَا المسؤُول، حَيث قَالَ عَنه (لسانه طويل)، كِنَاية عَن الإِسرَاف في الكَلام الفَارغ، وَتنمِيق العِبَارَات دُون أَفعَال تُنجَز، ثمّ إنّ هذَا الحِوار الذِي أَورَده الكَاتِب، بَين المسؤُول وَأَحد الحَاضِرِين مِن الشعب، يُعطِي صُورَة وَاضِحَة عَن أُسلُوب الكَاتِب، في التّندر مِن هَذا المسؤُول وَمَواقِفه، فَصورة اعوجاج العَصَا في رَأسِها، دَلَالَة عَلى اعوجَاج المجتَمَع في مَسؤُوليّة أولاً، إذا لَو كَان المسؤُولون في مستَوى مسؤُولِيَاتِهم، لَكَان المجتمَع بالتّبعِ مستقيمًا لاَ اعوجَاج فِيه ولا فسَاد.

(1) محمد الهادي الحسني، المصدر السابق،ص،ص: 207_208.

II)- أسلُوب التّبكِيت:

التَّبكيت من جذر بَكَتَ؛ إذ جاء في معجم لسان العرب: «بَكَتَ، بَكَتَهُ، يَبْكُتُهُ، بَكْتًا ربكته، ضربه بالسيف وعصا، ونحوهما والتَّبكِيتُ: كالتقريع والتعنيف (...) والتبكيت، التقريع والتوبيخ (...) وبكته بالحجة أي غلبه»[1]؛ ومنه نرى أن التنكيت لغة؛ هو تأنيب الغير وتوبيخه بالضرب أو الكلام، أما من الناحية الإصلاحية فقد عرفه محمد ناصر بوحجام: «أسلُوب يَعمد فيه إلى إفحام المخاطب والمتحدّث إليه، والكشْف عَن زيفِ مَا يَدّعِيه، وَجرح كبريَائِه بِقرعة الحجّة، وإسكَاتِه وتعنيفِه بالكلام، وهو في السّخرية أسلُوب، يعتمد _عَادة_ على التّلمِيح والإِشَارة والرّمز، واللّجوء إِلى التّغيرَات والجُمل اللاّذِعة»[2]، إذ نَجِد أَنّ عَلاقَة المعنَى الاصطِلاَحِي واللُّغوي؛ هُو مُخَاطَبة أَو مُجابَهة الغَير بِشَكل صَارم وحَاد.

- **انحِراف رِجَال الدِّين:**

وَقَف الكَاتِب مَوقِف الخَطِيب البَارع، يوجّه كلامًا فِيه تَبكيتٌ مُبطّن، لأهل الذّكر والبَلاغ قائلاً: «لو كانت قُلوبُكم ملآى بحبّ الخير لهذِه الأمّة، وَلو كَانت عُقُولُكم مُهتَمّة بِجَلبِ الخَير لهذِه الأمّة، لجمَعتم أَمرُكم، وَفوضتُم أَمر صَومِها وأَعيَادِها إِلى هَيئَة شَرعِيّة _علمِية _ لَا مُعقّب لحكمِها ولَا رَاد لِقضَائِها ولكِن قُلُوبُكم أَفرغُ مِن فُؤادِ أمّ مُوسى، وَعُقُولُكُم أَطيشُ مِن فَرَاشَة»[3].

ينتقد الكاتِب مَوقِف المثقّفِين الجزائِريين؛ الذين فَرَّقَهم أَمر تَوحِيد أَعيَادِهَا وَمواسِمِها، فَهو يَرى في الاحتِكَام إِلى هيأَة عِلمِية شرعيّة، أَحسن وَسيلَة تَضمَن الاتّفَاق وَالوَحدَة بَين الجَزائِريين، فالتّبكِيت يظهر في آخر القول ملمحًا إِلى قصّة (أم موسى)، متناصًا مع قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوْسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيْ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ المؤْمِنِينْ﴾ (سورة القصص،الآية:10) إذ طوّع دَلَالة الآية لِصَالح نَص المقَال، أَمُ مُوسى فَرغ قَلبُها مِن كلّ شيء، إلا ذكر مُوسى عَليه أَفضَل الصّلاة والسّلام، كَذَلِك أَهل الذّكر وَالبَلاغ، قُلُوبهم فرغا مِن كلّ خير للأمّة، إِلا مَا يَصلُح لهم؛ فَقَد

(1) ابن منظور، المرجع السابق، ص:12.

(2) محمد ناصر بوحجام: المرجع السابق، ص:310.

(3) محمد الهادي الحسني، المصدر السابق، ص:19.

اتّخذ الكَاتِب مِن هذِه الآية حجّة ليسكِتهم بهَا، وَهِي إِشَارة تُبَيّن هَدَف السّخرِية لمن كَان، وُوجُود المثَل العَربِي في قَولِه (عُقُولُكم أَطيشُ مِن فَرَاشَة)، فِيه تَعرِيض لهؤلاء الذين لَا يجتَهِدُون في تَخلِيص بَلَدِهم مِن تَخلّفه، فَعقُولهم أَطيَش مِن فَرَاشَة، وَهم الذين كَانُوا أَولى بالرّزانَة والحِكمَة والثّبَات، وَأبلغ التعريض أنّ الفَرَاشَة أقَلّ طيشًا مِنهُم.

- **انحِراف إِدَارَة الوَظِيف العُمُومِي:**

فَقَد سَخِر الكَاتِب مِن مسؤُولِين العمّال، العَاجِزين في ضَبطِ جَدول العُطل، حَسبَ المناسبَات الدينِيّة والوطنِيّة قائلاً: «وأمّا عُطلَة 1 مَاي، المسمَاة "عِيد العمّال"؛ فَهِي لا تَتَمَاشى مَع التّوجه الجَدِيد لِلقَائِمِين عَلى شُؤُون الجزَائر، الذين فعلُوا في العمّال مَا لم يَفعَلهُ "سيّدنَا عَلي في الكفّار"، فَترَكُوهُم يَفتَرِشُون الأَرض، وَيلتَحِفُون السّمَاء، بَعدَ أَن أَكسَدوا المصَانِع، وَبَاعُوها بِثمَن بخسٍ للجَزائِريين، يتَحلّون بأسَاور مِن ذَهب ولُؤلؤ، ولبَاسهم مِن حَرير»[1].

أرَاد الكَاتِب أنْ يُبيّن وَضعيّة العَامِل الجزَائِري، الذي أصبَح عبدًا، تَحت يَد القَائِمين عَلى شُؤون العمّال حاليًا، إنّ العَامل لا يُكرّم في يومٍ واحدٍ، والاحترَام لا يُحصر في مناسَبة العمّال فَقط، لابدّ أَنْ يُعَامل وَيحترَم كَبشَر طِيلَة تَواجدُوا في وَظِيفَته، رَفَع الكَاتِب الحجَاب عَن خبايَا أَربَاب العمّال؛ الذين يُوَازُون الإنسَان بالآلة، يخافُون عَلَيها أَكثَر ممّا يخافُون عَليه، فَقد صوّر الطّبقَة الحَاكِمة، بِأهل قُريش قَبل الإسلَام، يَتزيّنُون وَيلبَسُون أَغلى الأثمَان مِن الحرِير، بَعد الإنتَاج الفَائِض في المصَانِع، الذي لَا يُقدر بثمن، نجد صحّة العَامِل في خَطر، وَأربَاب العمّال غير مبَالِين، فَأين هُم مِن أخلَاق الأنبيَاء، وَمِن أخلاَق شُعيب عَليه السّلام، عِندَما أَرَاد تَوظِيف مُوسى قَال لَه: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ (سورة القصص، الآية:27)، إنّ العمَّال بعد كرهِهم، وَبذل عصَارة حيَاتِهم لا يَنَالُون جَزاءهم، فهم يفترَشُون الأرض وَيلتَحِفون السّماء؛ كِناية عَلى فُقرِهم وَموتِهم، وَهم الذين كَانُوا يعمَلُون وَيكدُّون، وقد جَاءت السُّخرية هُنا عَلى مَن يضيع حقّ العامل، الذي لم يبخل عن وطنه في الكدّ بالعمل والاجتهاد، وهنا يظهَر التّبكيت أسلوبًا يعري الواقع المرير، بين منظمَات لا دَور لهَا، وبين جُهود عُمَال تَضيعُ سُدى.

(1) محمد الهادي الحسني، المصدر السابق، ص:23.

- **القُصُور العَقلِي:**

وَمِن تَمَام القُصُور العَقلِي؛ الذي يَنتَابُ أَكبَر شرَكَاتِنَا الاقتصَادِيّة في الجزَائِر، مَا وَرَد في قَول الكَاتِب: «وَليعلَم "سَادتُنا" في سُونطراك؛ أنّ الحصُول عَلى عدد واحِد مِن تِلك الجرَائد، أصعب من العثور على حقلِ نفط»[1].

وَضَع الكَاتِب لَفظَة (سَادتَنا) بَين ظفرين، واختيارهُ لهذِه اللّفظة لم يرد بهَا تَعظِيم إمكَانَاتهم، بَل جَرى مَجرى الكفّار، الذين سُئِلوا عَن ضَلالَتِهم، قَالُوا اتّبعنَا (سَادَتنَا) ضنًّا مِنهُم سَوف يُقدّمُون شيئًا؛ لكِن اكتَشَفوا أنّهم لَا شيء في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُونَا السَّبِيْلَ﴾ (سورة الأحزاب، الآية:67) الحقيقة (سادتنا) في سونطراك يظلُّون السبيل، في إعطَاء الأموال فِيمَا لَا ينفع، يُصرِفُونها في ملذَّات الدُّنيا، وتَرفِيه أَنفسِهم وَيقنِعُونا بالوطنيّة؛ وهِي إِشَارة رَمزيّة أَعطَت ظاهريًا معنى التّقدير، وهو مدحٌ يرُيد به الذّم، فمسؤلُوا (سونطرك)، هذِه الشّركة العملاقَة، لم تكلّف نَفسَها إحضَار جَرِيدَة، ويبدُوا أنّ الأمر صعبٌ عَليهَا، أَصعَب مِن اكتشَاف بِئر نِفط، وهذِه هِي طَبِيعة السُّخرية الازدِواجِيّة في الدّلالَة.

سَخر الكَاتِب من التّخلُف الشّعري، لجماعة تدعي الشّعرية ولا تصلُها، ومع ذلك لها الجرأة في ترويج لمثل هذا القصور الأدبي، موبخاً إياهم قائلاً: «فبعض الشِّعر الذي نسمعُه أو نقرأُه من هذِه "الماركة" الشعريّة، ولذلك لا نَتفَاعل مَعه، ولا نَتأَثّر بِه وإذا سمعنَا أصحَابه يُلُوون أَلسِنتهم وضعنَا أصَابعنَا في آذانِنَا، واستغشينَا ثِيَابنَا، واستعنَّا بأرجلِنَا فرارًا من لغوهم»[2]

اعتمدَ الكاتِب عَلى أسلُوب القرآن، لِلتّبكِيت مِن جمَاعَة الشِّعر المفبرَك، متناصًا مع قوله تعالى: ﴿وَإِنِّ كُلَّمَا دَعَوتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ اسْتَغْشَوا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا واسْتَكبَرُوا اسْتِكبَارًا﴾ (سورة نوح، الآية:07)، قوم نوح عليه الصلاة والسلام، أبو أن يسلموا لِلَّه الواحد الأحد كما تعني الآية، غير الكاتِب الدّلالَة لِصَالحه، حتّى يَسخَر مِن المتطَفِلين عَلى الشِّعر، لِدرَجة أنّه إذا سَمِع مِنهُم قولاً، يَضع أَصَابِعه في أذنَه مِن قَولهِم، لَا يُسمِن وَلا يُغنى مِن جُوع، وَنَجِد الكَاتِب يُوظّف

(1) محمد الهادي الحسني، المصدر السابق، ص:35.

(2) المصدر نفسه، ص:56.

لَفظة (مَاركَة)، يَقصِد التّرويج لِشعرِهم وَتسوِيقه، وَهُو مَا يَدلّ أنّ الكَاتِب يَنتقِد الوَاقِع الأَدَبي وَالشّعري في الجزائِر، فَالكَاتِب جعَل مِن السُّخرية وَسيلَة؛ لِكشف هَذِه الأصنَاف، مِن الشّعراء الذين يُزخرِفُون الألفَاظ، وَلَيس لَهم مِن الشِّعر إلا اسمَه، بَينَما نَجِد الشُّعرَاء الأقحَاح يَلفهُم الصَّمت والتَّجاهل.

مِن المشكِلات التي يُعَاني مِنها العَالم العَربي والجزَائِري بشكِل خَاص؛ هُو مَنحُ مقامٍ لمن لَا مَقَام لَهُ، فَيتصَرّف عَلى هَوى جَهلِه، وَيصدُر عَنه قرارَات لَيس فِيها أيّ وِجهَة نَظَر، تَدلّ عَلى أنّه مُفكِّر، وَمن هذَا سَرد الكَاتب موقفًا، حَدَث لَه في تَغيير اسم مَدرَسة ابنَتِه الصُّغرَى، بَعدَما كَانَت مَوسُومَة باسم العلَّامَة "ابن باديس"، إلى اسمٍ آخر غَير مَعرُوفٍ، وَغضِب الكَاتِب وتحسَّر قائلاً: «لَقد تَساءَلتُ عَن هذَا "العَبقَري" الذي فَعَل هَذِه الفِعلَة، فَاستَبدَل الذِي هُو أَدنى بالذي هُو خَير»[1].

استعمَل الكَاتِب الدّلالَة المشتركَة في قَولِه (فعلة) وهِي: «الشّيء أَو المفرَدَة التي يَقعُ عَليهَا الحدَث ليجعَلَها هِي الحدَث»[2]، أَدرَج هَذِه الصّيغَة في قَولِه، حتّى يُثبِت خُطُورة الفِعل؛ لأنّ مَا يُقَابلُها في الوَاقِع عَدم الاكترَاث، لحذفِ اسم العلّامَة عَبد الحمِيد ابنُ بَادِيس مِن المدرسة، واستبدِل باسم آخر أَقَلُّ شأنًا منه، وليُبَيّن هذَا الفَارِق اتكَأ عَلى عُنصُر التّضَاد (أَدنَى ≠ خيْر)، صَحِب هذَا القَول اسم إشَارة؛ لِلدّلالة عَلى القُرب وَلَيس لِلبُعدِ (هذا العبقري)، لِغرض التّحقير، والعَبقَري كَان مدحًا لِغرَض الذّم، مَن في الجزَائر شَاهدنَاه يَهزّ مَكَانَة العلامة وَيحذِف اسمه، فَتَحصّر الكَاتِب لهذَا الخبر، جَعلَه يَنتفِض ساخرًا مخاطِبًا وِزارَة التّعليم والناكرين لِلجَميل، فلَولا جُهود عَبد الحمِيد بنُ بَادِيس وَجمعِية العُلَمَاء المسلمين، لما عَرَفت الجَزَائِر اللّغة العربيّة، وما قَامَت لهَا قَائِمة عِندَنا

- **السّيَاسَة الصُّهيُونيّة:**

وَمَا وَرَد مِن سُخرِية الكَاتِب؛ لأحقَر البَشريّة (بوش)، كاشفًا أَبَاطِيلَه قَال: «أمّا هَذا "بُوش"، فَقد تألّه عَلى العَالم كلّه، وَهُو يَسعَى لاستعمَار الأَرض مِن اليَابَان إلى تِطوان»[3].

(1) محمد الهادي الحسني، المصدر السابق، ص:97.

(2) هاني عبد الرحمان: **الدلالة المشتركة**، دار المؤمن لنشر والتوزيع، (د.ط)، 2017، ص:72.

(3) المصدر السابق، ص:46.

فالكَاتِب حِين رَاح يَنتقد الرّئيس الأَمرِيكي (بُوش)، وظّف اسم الإشَارة لإهَانتِه (هَذا بُوش)، فإذَا قرُب الشَّيء سَهل اقتِنَانُه، أمّا إذَا بَعد صَار صعبَ المنَال، وَزَاد مِن الشّوقِ الوُصُول إِليه، فالصّيغَة التي قدّمَها الكاتب: «يُؤتِي بالمسنَد إِليه اسِم إِشَارَة قَصداً لتحقِير معنَاه، بِسبَب الدّلالَة عَلى القُرب»[1]، لم يَقُل الرّئيس أو السّيد فهذَا يُعطِيه مَكَانة، فاختيَار اسم الإِشَارة أسلوبًا للتّبكِيت، إنّما جَاء لِوضعِ الظّالم في مَوضِعِه الأَصح، وَلِذَلك كَان أُسلُوب التّبكيت في مِثل هَذِه النّماذج، وسيلة جادّة مِن وسَائِل النّقد الغَير مُباشِرة، في الإصلَاح الاجتِمَاعي والسّيَاسِي والأَخلَاقِي.

- **جُحُود وَنُكرَان الجَمِيل:**

لم يَنسَى الكَاتِب فَضل جَمعِيّة العُلمَاء المسلِمين؛ في مُقَاومَة المستعمِر الفِرَنسِي، التي كَانَت عَقَبة عَلى الفِرَنسِيّين في كُلّ سِيَاسَة مدبّرة قائلاً: «وَهي التي بَعَثتهُم مِن مَرقَدِهم بَعدمَا أنَامَهُم "الفِكرُ الميّت" وَأحيتهُم بالسّنة والقرْآن، بعدَما أَمَاتهم "الفِكرُ القَاتِل" وَلَا أَقُول هَذا تحيزًا أَو إدّعَاء»[2].

بيّن الكَاتِب مَكَانَة جَمعِيّة العُلَمَاء المسلِمين الجَزائريين، وأَفضَالهم عَلى الشّعب الجزَائِري، إذ مِن الوَاجِب أَن نشكُرَها ونمجّدَها، إشادَة وعرفانًا بهذِه الجمعِيّة؛ فَقد اختَار الكَاتِب رمزًا حتّى يهزأ فرنسَا، فاكتفَى بِوضعِ لَفظَين بَين قَوسَين، يحمِلان دَلالَة تَسحَق فرنسَا وتُوعِي الشّعب بتاريخِه، وَمَا فَعلَه الاستخرَاب بِأجدَادِه أولها (الفكر الميت)، الموت عِندَما ارتَبط بالفِكر، أَحدَث غَرَابة مِن حَيث طَبيعَة الوحدَات الدّلالِية، و أيضًا (القاتل) تجسّد الفِكر في شَكل إِنسَان يَقُوم بمَا يَقُوم بِه، أخرجت اللّفظة عَن دَلالتها اللّغوية، حُذف المشبّه بِه (الإنسان)، وَبقِيّت شَيء مِن لَوازِمه هُو العقْل؛ الذِي كرم به الإنسَان فَقَط، وَدَور العَقل (التّفكِير مِن الفِكر)؛ لكِن عَقلُ الإنسَان الفَرنسِي قدّم أفكارًا، لا تخدُم ثَقَافَة الشّعب الجزَائِري؛ فهِي أفكارٌ انتهت صَلاحِيتُها، كِنَاية أَيضًا عَن تَنوِيم الشّعب الجَزَائِري ثقافيًا، والمفَارَقة وَاضِحَة بَين ثَقَافَة فَرنسَا القَاتِلَة، وَثَقافَة القرآن والسّنة التي أَحييت الشّعب الجَزَائِري، فَهنَا يَبرُز أُسلُوب التّبكيت؛ الذي وَازَن بِه فِكر فَرنسَا وَفِكر القُرآن؛ حتّى يدمغ به من لا يزال يحمل حنينا بين جَنبيه لأمّه فرنسا.

(1) محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي: **حاشية الدسوقي**، تح/خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية، لبنان، ج1، (د،ط)، 1971، ص:599.

(2) محمد الهادي الحسني، المصدرالسابق، ص:119.

المطلب الرابع: أُسلُوب المُفَارَقَة والتّعرِيض

مِن المبَادِئ الأسَاسيّة لِلسُخرِية اللّعِب بالمعَاني، فَيحمِل القَول دَلالَتَين مُتَنَاقِضَتين، وَاحِدَة تُمثّل الوَضع الموجُود، والثّانية مَا يُرجى أَن يَكُون لِلعيشِ ، في ظلّ هَذَا الصّراع يُولَد أُسلُوب المفَارقَة، الذي يُصوّر الوَاقع الممتَلِئ، بالاختِلافَات في التّصرُفَات والأَفعَال، وَدَور السُّخرِية هُنَا هُو كَشف الاختِلَافَات وَمعَالجتها، وعَرضُها بأسلُوب فُكَاهي دَقِيق، خصوصًا مِن نَاحِية اختِيَاره لِلألفَاظ، وَتكُون قَاعِدة يتكئ عَليهَا، في أُسلُوب التّعرِيض لمعرِفَة اللُّغز المخبَئ، وَرَاء اللّفظَة في سِيَاقِها اللّغَوي.

أثرَى كُل مِن الأسلُوبَين (المفارقة والتعريض)؛ مِن تحمِيل الموضُوع الوَاحِد إلى عدّة مَعَاني، فَقد تحوّلَت المقَالَة إلى لُغز كَبيرٍ عنْ طَرِيق عُنصُر الخفَاء؛ الذي يَلفُت النّظَر مِثَال ذَلِك: «وَضعُ الذّكَاءِ في مَوضِع الغَبَاء، عَلَامَة لِتَخفِيف أَو التّهوين مِن شَأن الغَبَاء، وَيكُون هذا التعبير تلميحيًا لطيفًا تهكميًا»[1]، فجُل الموضوعَات كَانت تَصُبّ في جِهَة معيّنة، تَكشف تصرفات الغَريبة، لِكُلّ مِن كِبَار العَرب والغَرب، في الشُّؤون السّياسيّة أَو الدينِيّة، مُفَارقَة تارةً وتعريضًا عَن مَهَازِل الوَاقِع تارةً أُخرَى.

I)- أُسلُوب المُفَارَقَة:

فقَد عَرّفَه محمد نَاصِر بُوحجَام: «أُسلُوب يَعمَد إِلَيه الأَدِيب؛ لِلكَشفِ عَن التّنَاقض الحَاصِل في تَصرّفَات بَعض النّاس، وَتقدِيم ذَلك تقديمًا متهكمًا ساخرًا مستهزئًا، مِن ذَلِك تَسمِية الأَشيَاء تَسمِية مَعكُوسَة، وَنقل الأَفكَار نقلاً مغلوطًا، وَسَرد المشَاعِر سردًا شاذًا»[2]

- **السياسة الصهيونية:**

حيث كَشَف الكَاتِب حَقِيقَة المستَبِد "بُوش"، قَال فِيه مَالَا يُقَال فيه عَادةً، وَصفَه بالعَادِل في مَوضِع الظّالم قائلاً: «فَقلْت لَه إنّك "تَظلِم" بُوش لأنّه قَال لنَا بأنّه جَائنَا بالحريّة وَوَعدَنَا بالرّفَاهيّة»[3].

(1) عاصم شحادة علي: المرجع السابق، ص:3.

(2) محمد ناصر بوحجام: المرجع السابق، ص:314.

(3) محمد الهادي الحسني: المصدر السابق، ص:46.

كَثُرت التّأكِيدَات في قَول الكَاتِب (إنّك – لأنّه – بأنّ)، أخبرنَا بِأَمر تعدّدَت إثبَاتَاته، تشكّل لنَا الخَبر الإنكَارِي وَهُو: «أَن يَكُون المخَاطَب منكرًا لحُكم الخَبر، وفي هَذَا الحَال يَجِب أَن يؤُكِد لَه الخبَر بمؤَكد أَو أَكثَر، عَلى حَسَب دَرجَة إِنكَارَه مِن جِهَة القوّة و الضّعف، وَ يُسمى هَذَا الضّرب مِن الخَبر" إنكاريًا"»[1]، إِذَا زَادَ الشّيء عَن حَدّه انقلَب إِلى ضدّه، بَالَغ الكَاتِب في تَصرِيح "بُوش"، دليلاً عَلى الاستهزَاء بِه؛ لِيكشِف التّنَاقض الحَاصِل في مَواقِف الرّئيس "بُوش"، فَهُو يقُول شَيء وَ يَعمَل بضدّه، وَلِذلِك كَانت الجملَة التي عَرضَها الكَاتِب، تُعبر عَن ظُلم (بوش) للإنسَانِية جَمعَاء، وَسلبْ حرُيتَها وَإغرَاقِها في حَيَاة البؤْس و الّشقَاء، وكلّ ذَلِك يَعكِس تحسّر الكَاتِب عَلى وَاقِع عَالمي بَئِيس، يَتزَعّمه أَشكَال بَائِسة مِن أَمثَال "بوش" وأَتباعِه.

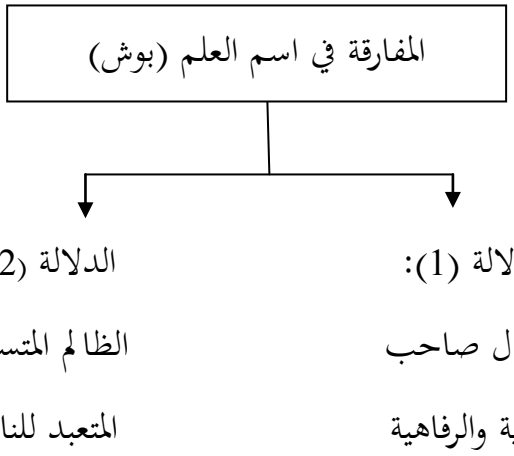

المخطط رقم(11): يوضّح المُفَارقَة في اسم العَلَم "بُوش".

حتّى يهزَأ الكَاتِب، مِن رِجَال الدَّولَة رُوَاد الفسَاد، وَيقَزّمَهُم في أعيُنِنَا، قَابَلَهُم بِأَسيَادِهم الخُلَفاء قائلاً: «لَقَد وَصفَ عُمَر بنُ الخطَّاب العِملَاق نَفسَه بِ"العَبد"، فَصِرنَا نَرَى أقزامًا يَتعَملَقُون، بالتّشَبث بِأَلقَاب وَأَوصَاف لَا تُسمِن وَلَا تُغني»[2].

اتّخذ الكَاتِب مِن ثُنَائِية المتضَادّة (عملاق≠ أقزام)، حتّى يُبرِز التّنَاقض الحَاصِل في تَصرّفَات النّاس حاليًا، فاستغَلّ سِمَة المفَارقَة لِيُبّين مَدلُول كَلِمَة عِملَاق قديمًا، هَذِه التّسمِية تَنطَبق عَلى رِجَال يستَحِقُونَهَا، وَمَعَ ذَلِك قَالُوا نَحن (العَبد)، وَقَد انقلَب الحَال الآن فَصِرنَا نَرى أقزامًا يَتعملَقُون، ويدّعون

(1) عبد العزيز عتيق: **علم المعاني**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2009م، ص:53.

(2) محمد الهادي الحسني، المصدر السابق، ص:195.

مَا لَيس أهلاً لَه؛ مِثَال ذَلِك أَنْ غَضِب أَحد الذِين يَرونَ أَنفسَهُم كباراً عَلى صَحفِيّة؛ لأنّها لَمْ تَكتُب مَع اسمه بأنّه مُفكِر أَو شَيخ وابتزّها عَلى ذَلِك، وَجَاءت سُخرِية الكَاتِب ليتَحصّر عَلى هَذِه الزَّميلَة الشَّرِيفَة، التي لَا تَرضَى نُفسها تَسمِيّة الأُمُور بِغير مُسَميَاتِها وَقدَّمت استَقَالَتهَا، وَمستغربًا مِن هَذِه الفِئة التي تَصنَع نَفسَها بِاللّقَب وَلَيسَ بِالفعلِ، الصِّفَة تَصِف صَاحِبَهَا، هِي التي تَختَاره وَلَيس هُو من يختَارها، وفي الأَخِير تَكُون مُجرّد اسم، لَا يَنفَع عَلى حدّ قَول الكَاتِب، متناصًا معَ قَولِه تَعَالى: ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ (سورة الغاشية، الآية:07)، مَثلُ هَذِه الأقزَام الحَاكِمَة، كالشَّجَرة السَّامَة التي نَبَتَت في الجحِيم لَا تُغذّي وَلا تَنفَع، تَأخُذ المكَان فَقَط، وَهذَا حَال كَثِير مِن الحُكَام؛ الذِين يَعِيشُون عَلى اغتصَاب حُقُوق غَيرِهم، وَحُلولِ أمكنةٍ ومناصبٍ ليسُوا أهلاً لهَا.

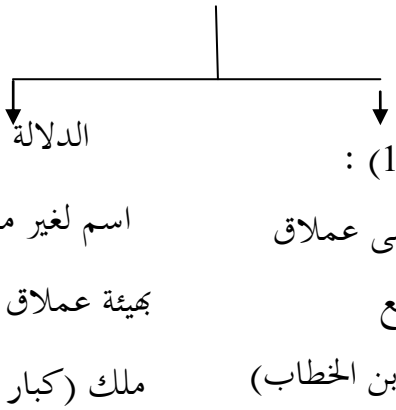

المخطط رقم(12): يوضّح مُفَارَقة (عِملَاق) فِي مَدلُولِها القَدِيم والجَدِيد.

وَممّا وَرَدَ مِن سُخريّة الكَاتِب لأَحدِ الوُزَرَاء، الذِي كَشَف عَن أَهم المبادِئ الأَسَاسِيّة لِلوُزَارَة في الجَزائِر وَهِي: «وَمَا عَلِم النّاس أَنّ الرَقص مِن صِفَات رِجَال الدَّولَة وَمميزَاتهم»[1].

سَخِر الكَاتِب متهكمًا مِن رِجَال الدَّولَة؛ الذِين يَتّخِذُون الرَقص إِحدَى صِفَاتهم في وَطَنِنَا، فَمِن بُنُود التّرشُح لِلوزارة، هُو أنّك تُجِيد الرّقصَ والبَهلَلَة؛ حتّى تَنجَح في الوِزَارَة وَيرضَى عَنكَ الرّئِيس، لأنّنا نَمشِي بالمقلُوب، بَدَل الشَهَادَات والانجَازَات وَالمرَاتِب العُليَا في العِلمِ، نَترك كلّ هذِه التّعَالِيم، ونزَاحِم البَهلَواني في وَظِيفَته، كَيفَ تَكسِب الدّولَة هَيبَتَها؟، وَوُزَرَاءنَا لَا يَتَمَتّعُون بِرُوح المسؤُوليّة،

(1) محمد الهادي الحسني، المصدر السابق، ص:36.

وَتصرفَاتهم تجعلُنا نطَأطِئ رؤُوسَنا، وَيكمُن التّنَاقض هُنا في كَون الحضَارَة عِند الغَير، وخصوصًا الأجَانب تَأتي بالعمَل، أمَّا في الجزَائِر بهَزّ الورِكَين.

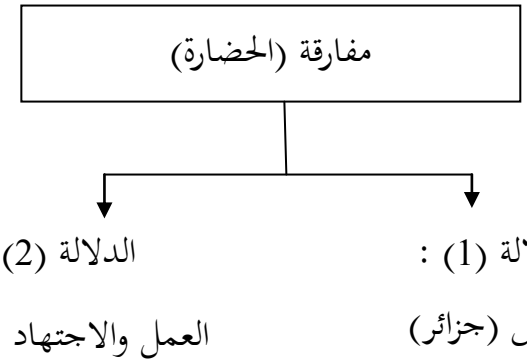

مخطط رقم(13): يوضح مدلول(الحضارة) بين العرب"الجزائر"والغرب.

مِن غَرَابة رِجَال الدّين طَاعَة عِبَاد الله، وَلَيسَ الله عزّ وجلّ، فَقد وَبّخ الكَاتِب هَذِه الفِئَة؛ التي تَتَنَاقَض في تَصرُفَاتهَا قائلاً: «إنّني أَطلُب مِن الو.م.أ، وَقَد صَارَت بالنسبَة إلى كُبَرَائِنا "ربًّا" يَعبُدُونَهَا مِن دُون الله، وَيفعَلُون مَا تَأمُرهُم بِه، وَلا يَعصُون لها أمرًا، أَطلُب مِنهَا أَن تَفرِض _"في مُخطّطِها المسَمّى الشَرق الأَوسَط الكَبِير"_ عَلى حُكَام الدّولَة العَرَبية والإِسلامِية، أَن يُوحِدوا أَعيَادهم وَمنَاسبَاتُهم الدِّينيّة، وَليتحَاكَمُوا في ذَلِك إلى يَقين العِلمِ، لَا إلى الظّن وَالرُّؤية»[1].

أَدخَل الكَاتِب أُسلُوب القُرآن؛ لِيبَيّن التّنَاقض الحَاصِل في خَلقِ الله، مِثلَمَا خَاطَب الله الكَافِرين، الذين يَتبعُون أَجدَادهُم وَينسون الله في قَولِه تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونْ﴾ (سورة يونس، الآية:18)، مَثل هَؤُلاء كَمثَل القَادَة العَرب، يَتّخِذُون مِن أَمرِيكَا "ربًّا" لَهم، مِن دُون الله مَثلهُما مَعنى الآية القُرآنية، في قَولِه تَعَالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (سورة التحريم، الآية:06)، فَقد تحدَّثت الآية عَن الملائِكَة وَأنّهم لَا يَعصُون الله، مَثَلُهم حُكَام العَرب والمسلِمين؛ الذين لَا يَعصُون أَمرِيكَا في شَيء، فاتخذ الكَاتِب مِن هَذا الموقِف دُعابة، فبنُوا جِلدَته مِن العَرب لم يَسمعُوا، فدعَا ربّهم أَمرِيكَا أَنْ يُوحِد شَمَلَهُم في شُؤُون الأَعيَاد، فَهُم عَبِيدُها، فَهِي مَن خلَقت مَشرُوع الشّرق الأَوسَط، فَلابّد لهَا أَنْ تَكُون

(1)محمد الهاديالحسني، المصدر السابق، ص:20.

مَسؤُولَة عنهُم، وبالتَّالي فَهو يَرجُوها أَن تُبَادِر إِلى مَشرُوع إِنسَاني، بِأَن تُوحِد تَوارِيخ المناسبَات وَالأعيَاد، لأنّ الأمْر إِذْ جَاءَ مِن سَيدَتِهِم أَمرِيكَا فَيتقبَّل لا مَحَالَة.

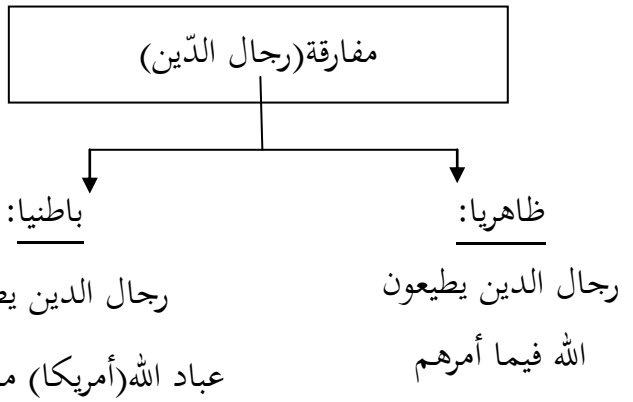

مخطط رقم(14): يوضح مفارقة (رجال الدّين) في مفهومها الظاهري و الباطني.

- **السّيَاسَة الفرنسِيّة:**

فَرَضَت فرنسَا مَجمُوعَة مِن القَوانِين في الجَزَائِر؛ لِكَي تَظهَر بِأنّها دَولَة قَانُون وَيَهمُها أَمر الجزَائِريين، فَهِي تُوَازِي بَينَهُم وَبينَها في الحُقُوق؛ وَلكِن جُلّ هَذِه القَوانِين، كَانَت حكرًا لحريّة الجزَائِريين، وَسيَاسَة استِعمَارية غَير مُبَاشِرة، فَسخَر الكَاتِب مِن قَوانِينِهم التي تُعبّر عَن حَقَارَتِهم قائلاً: «فَلّما جَاوز هذا **القانون**(*) البَحرَ إِلى الجَزَائر؛ ــوَهِي آنذَاكــ جُزء مِن فَرنسَا بِنص قَانُونها... انقَلبَت قَافُه كافًا فصَار كانونًا، زَادت بِه فرنسَا الإِسلَام والمسلِمين إحراقًا»[1].

إنّ مِن مميزَات المفَارَقة، تَسمِية الأشيَاء تَسمِية مَعكُوسَة، وَمثَال ذَلِك في قوْل الكَاتِب (قَانُون = كَانُون) جِنَاس نَاقِص، فالقَانُون هُو مُنظّمة العَدل، أمّا الكَانُون هُو مَنبَع النّار والحَرق، كلّ قَانُون فَرضته فرنسَا هُو لهيبُ حِقدِهَا وكرهِهَا لِلجزَائِريين، تَرميهم بِه في جَهنّم وَلا تَسأَل، اختَار الكَاتِب (كانون) لِيَكشِف السّيَاسَة الفَرنسيّة وَيسخَر مِن عُقُولهم؛ التي سَولَت لهُم أَنّنا أَغبياء حتّى يمرّ عَلينَا كَانُونَهم، فَقَد فَاقَ خَطيّة السَرد في مَنطَقَة الخيَال إلى التّخييل، مِن وَسِيلَة طَبخ إِلى سِياسَة قَمع، هَذا

(*) **قانون فصل الدين عن الدولة**: وهو قانون يحظر على جميع المؤسسات الرسمية، التدخل في شؤون الدين وقضاياه .

(1) محمد الهادي الحسني، المصدر السابق، ص:129.

التّشبِيه قرّب الدّلالَة وَعمّق المأسَاة، بِأسلُوب نفّس بِه عَن غَضبِه مِن المستَخرِب؛ بِإفرَاغِها في قَالِبٍ ساخرٍ، أَرَاد بها تَوعِية الغَير بمَاضِي فَرنسَا المشؤُوم وَسِيَاسَتِها في الجزَائر.

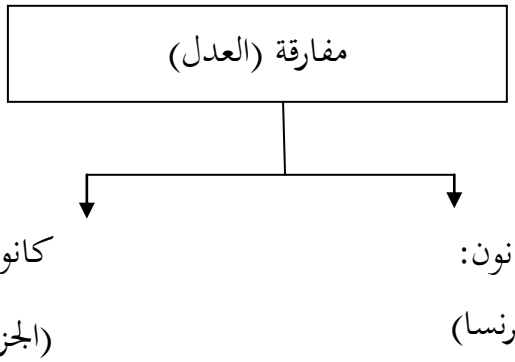

مخطط رقم(15): يُوضّح مَدلُول مُفَارَقة (العَدْلُ) في السّياسَة الاستِعمَارِية الفرنسِيّة.

I)- أُسلُوب التّعرِيض:

جَاء في مُعجَم لِسَان العَرب، أنّ التّعرِيض مِن جذر «عَرَضَ: العَرضُ خلاف الطول والجمع أَعْرَاضٌ (...) قال الجوهري: أي شِقَّهُ وناحيته، وقد عَرُضَ يَعْرِضُ عِرْضًا مثل: صَغُرَ صِغْرًا، وعَرَاضَةً بالفتح»[1]؛ ومنه جاء التعريض لغةً قَصُرَ وصَغُرَ الأمر، أما من النّاحِية الاصطِلاَحيّة هُو: «أسلُوب يَعتَمِد عَلى التّعبِير غَير مُبَاشِر وَاللّعِب بالمعَاني، مِن غَير أَن يَكُن بَينَ المعَاني تَلاَزُم مَشرُوط، وَهُو الكَلاَم الذِي لَا يَقصِد به المتَكلّم مَعنَاه، وإِنّمَا يَقصِد بِه مَعنَى آخَر وَليسَ بَينَ المعنَيين تَلازُم»[2].

- **السّيَاسَة الفرنسِيّة:**

إنّ السّياسَة الفَرنسِية، لم تَصِل لمرَادِها عَن طَرِيق قُوتِها فَقَط، كَانَ لهَا خَونَة يُعِينُوهَا عَلى ذَلِك، جَاء الكَاتِب معرّضاً عَن أَحد الأُدبَاء الجزائر قائلاً: «'إنّ العَبدَ يَأخُذ لُغَة سيّدِه'، فَتَرى العَبدَ يَنصَبُّ

(1) ابن منظور: المرجع السابق، ص:186.

(2) محمد ناصر بوحجام: المرجع السابق، ص:279.

ليرُيح سيّدَه، وَيشقَى لَعلَّه يَرضَى عَنهُ فَيسمِعُه كَلمَات، وَيتَكرّم عَليهِ بِلُقيمَات، وَيتَفضَّل عَليهِ بِدريهمَات»[1].

مَزَج الكَاتِب في مُستَهل القَول مثلاً، قاله الفيلسوف الألماني **يوهان غوتليب فيشته [Johann Gottlieb Fichte 1814/1762]**، واختيَاره جَاء يَتنَاسَب مَع الدّلالَة؛ التي يُريد أَن يَصِف بهَا المسخُور مِنه، جَاء التّعرِيض سِلسِلَة مِن الفَواصِل المسجُوعَة؛ إذ الفَواصِل الأولَى مَسجُوعَة بحرف "الهَاء"؛ وَهُو مِن الحُرُوف المهمُوسة الحلَقِيّة، وَالفواصِل الثَّانِية بحَرف "التاء"؛ وَهُو مَهمُوس شَدِيد مَخرَجُه طَرَف اللّسَان، وكِلا الصَّوتين يُستَعمَل لِلهجَاء[2]، فَظَاهِر القَولِ حَديثٌ عَن العَبِيد وَمَا يَشقون به استرضَاء لمن يَستعبِدهُم؛ لَكِن أَبعَاد القَول تَذهَب إِلى الأَدِيب مُولُود معَمرِي؛ الذي تَحوّل عبدًا لفرنسَا، فَقد حَصَره في زَاوِية العَبيد كِنَاية عَن الخضُوع التَّام لها، واختيار الكَاتِب لِلفظ (العَبد) و(السَّيد) في ثُنَائِية، تَختَلِف تمامًا عَن قَصدِه، المتمثَّل في (مولُود معمرِي) و(اللُّغة الفَرنسِية)، وَهُنا تَحقَّق التّعرِيض بِتعبِير مُخفَى، لم تَتَفِق فيهَا المعَاني المتَلائِمَة، بَين مَا في السِياق المتكلّم وَمَا يَقصِده مِن ذَلِك.

وَمِن تَعرِيض الكَاتِب لِلسّيَاسَة الفَرنسِيّة، في قَوانِينِهَا قائلاً: «وَعندَما وَصَل ذَلِك القَانُون إِلى الجزَائِر شُفِيت إِحدَى عَينَيه مِن العَمى، فَصَار قَانُونًا أَعوَر ولَكنّه لَيس عورًا عاديًا، بَل هُو عَور صَلِيبي حاقِد وَعَور كَنسِي فَاسِد»[3].

فَفي مَعرض تَعريضِه بالسّيَاسة الفرنسِية، لم يَجد في الأَسَالِيب غَير تِلك الاستعَارة المكنِية، عِندَما وَصفَ قَانُونَهَا بالإنسَان الذي استعَارَ لَه صِفة (الأَعور)؛ لِلدّلالَة عَلى عَدم جَدّيتَهَا وَسُوء نِيَاتهَا، فَكَانَت الصُّورَة المكنِية مُثيرَة لِلسّخرية، فَتحَوّل في هذَا التَّعريض القُصُور الخُلُقِي إِلى قُصُور أَخَلَاقِي، وهُو مَثَار الاستِهزَاء والسّخرية والضّحِك؛ الذِي أَرَاد الكَاتِب أَن يُعمِّق بِه فَهم سِيَاسَة المستَعمِرين عامّة، وَفرنسَا في الجَزائِر خَاصّة.

(1) محمد الهادي الحسني، المصدر السابق، ص:48.

(2) ينظر: إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد: «**معجم الوسيط**»، معجم اللغة العربية مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، ص_ص: 80_968.

(3) المصدر السابق، ص:129.

نَستَنتِج في الأَخِير أَنّ الكَاتِب كَان في الغَالِب؛ معبرًا بِأسَالِيبه عَن الوَاقِع السِّيَاسِي المرِير، وَالذي أَخَذ فِيه دَورَ المحلّل لأسبَاب تَرَاجُع الشُّعُوب العربيّة، وَالوقُوف عَلى تَارِيخ "المستَعمِر الفرَنسِي" في الجزائِر ماضيًا، و"الاحتلال الصهيُوني" في فلسطِين حاليًا، وَالوقُوف إِلى جَانِب الشُّعَوب فِيمَا تُعَاني، مِن انحرَافَات أَخلاَقيّة وَخرُوقَات لِلقَوانِين، كَانت السُّخرِية فِيهَا تُخَفِّف المرَارَة، وَتقبِض رُوح المسخُور مِنه، بِطُرق مُبَاشِرة وغَير مُبَاشِرة، تلاعبًا لفظيًا، بإكسَاب الأَلفَاظ مَعَاني مُغَايرَة لِلسيَاق، عَن طَرِيق (المفارقة)كَسِمة أُسلُوبية، وُخصَائِصُها كالتّضَاد وَالتّكرَار والتّقَابُلات، وَتَرَاكِيب لُغوِيّة مَبنِيّة عَلى الاختِيَار وَالانزِيَاح لِتشكِيل صُور فَنيّة، مُتَمثّلَة في (التّشبيه والاستِعَارة والكِنَاية وَمحسِنَات البَدِيعِية)، جَعلَت نُصوص المقَالَات أَكثَر انفِتَاحًا عَلى الدَّلَالَات، وَأَيضًا تَطوِيع النُّصُوص بِآلِيّة التَّنَاص، خُصُوصًا بالقُرآن الكَرِيم؛ الذي احتَلّ النِسبَة الأَعَلى في المقَالَة، وَتنَاص الكَاتِب بِنُصُوص أُخرَى، لصناعة حيزٍ لضحية الأثر "المسخور منه" لينال منه؛ يتخذ أمثلة شعبية فصيحة وأخبار ونكت ورموزا، وَصِيغ مُبَالَغة لِيُضخّم القَول، بِدُون أَن نَنسَى التّعبِير الكَارِيكَاتُوري وصِيغ المدحِ والذّم[1]، اللّذَان يتخلَّلَان دَاخِل الأَسَالِيب الأُخرى، وَوَرُودُهُمَا في هَذِه المدوّنة، سجّل نسبة قليلة عَلى غِرَار أُسلُوب التّنكِيت والتّبكِيت، كلّ هَذِه الأَسَالِيب تَحتَاج نفسًا مُتقِنة بَارِعَة مُبدِعَة، تَجسّدَت حقًّا في مُحمَد الهَادِي الحَسَني، كَمُفَكِر حَمَل هَمّ أُمَّتِه، فَنَفّس عَن مَشَاعِره المليئَة بِالحسْرَة وَالأَلمَ مِن جِهة، وَعَالجَ قضايَا مُهِمة، بِأُسلُوب جَدِيد يُمتِع القَارِئ مِن جِهَة أُخرَى.

(1) ينظر: عاصم شحادة علي، المرجع السابق ص:5.

خاتمة

تَوصَّلَت الدِّرَاسَة إِلى النَّتَائِجِ التَّالية :

أولاً: اختلَفت السُّخرِية في الأَدَب الجزَائِري عَن الأَدَب العَرَبي؛ فَكَانَت صُورَة مُصغَّرة لِويلَات الاستِعمَار، صَحِيح كَانت بِدَايتها بَسِيطة، إِلا أَنَّها مَع جَمعِية عُلمَاء المسلِمِين ازدَهَرت، وَعُدَّت وَسِيلَة إِصلَاح مَا خرَّبه الاستِعمَار، وَتَواجَدَت في المقَالَات بِأَكثَرِيّة، مَع شُيُوخِنا الكِبَار عَبد الحَمِيد بنُ بَادِيس وَالبَشِير الإبرَاهِيمِي.

ثانياً: حَمَل محمد الهادي الحَسَني رَايَة شَيخِه، مُستَكمِلاً مَسِيرَته في هَذَا الفَن ومطورًا فِيه، إِذْ عَالجَ العدِيد مِن الموضُوعَات ذَات المضَامِين السِّيَاسِية والاجتِمَاعِيّة والأخلَاقيّة، تُركّز في جَوانِب الشَّقَاء قَبل الرّخَاء، فَكلّ مَوضُوع كَان يُعَالجُه إِلا وَلهُ بعدٌ سياسيٌ، إِذْ بَلغَت نِسبَة السُّخرية في الموضُوعَات السّيَاسِية في المدوّنة 62.22%.

ثالثاً: وَضَع الكَاتِب عَنَاوِين تَتَأسّس عَلى انزِيَاح دَاخِلي أَي (مفارقة تورية)، تَلفِت نَظر القَارِئ، وَتُبرِز عُنوان المقَالَة في الصّحِيفة.

رابعاً: ارتكزت السُّخرية في المدوّنة عَلى المفَارَقَة؛ في اختِيَار أَلفَاظ قَائِمَة عَلى التَّضَاد، تَتّخِذ الازدواجية الدّلالة في الخطَاب، قَسمَت الدّلالَة إِلى شِقَيْن: مَعنَى ظَاهِر وَمَعْنى خَفِي؛ الذي يُمثِّل المعَادِل الموضُوعي في الخِطَاب السَّاخِر، وَقَد ركّب الكَاتِب صُوراً فَنّية تَزْخَرُ بالبَيَان؛ مِن "استِعَارَة وكِنَايَة وَمجَاز"، وَالبَدِيع مِن "طِبَاق وَمُقَابَلة وَجِنَاس"، كسّر بها القواعد المنطقية للّغة، ممّا جَعلَها أَكثَر انفتاحًا لِلدّلَالَات في التَّأوِيل.

خامساً: أُسلُوب البَيَان المعتَمَد في سَائِر أَسَالِيب السُّخرِية، وَهذَا نَتِيجَة لِتأثّر التلميذ بالمعَلّم، فَقد اتّخذ الكَاتِب القرآن الكَرِيم مَعنَى وَمَبنَى في المقَالَات، ويُمكِن أَن تَكُون بَابًا آخر لأبحَاث أُخرى.

سادساً: اعتِمَاد الكَاتِب عَلى مَرجِعية تَارِيخيّة، وَأَمثَال شَعبِيّة وَقِصَص مُضحِكَة وَنُكَت، اختصَر بهَا المسَافَة لهدَف السُّخرِية، فِي كَشف حَقَائِق مَن يَكُونُون هدفًا لهَا.

سابعاً: تَعدُّد الأَسَالِيب في المدوَّنَة مِن "مُفَارَقة وَتعرِيض وَمدح في صُورَة الذّم وَتبكِيت وَتنكِيت واستِفهَام"؛ الذِي خَرج مِن مَعنَى التَّسَاؤل إِلى مَعَاني أُخرَى يُحقّقُهَا؛ كالتّكذِيب وَالتّحقِير والاذْلَال والتّوبِيخ.

ثامنًا: تَقُوم مَقَالَات "الحَسَني" في مدوّنَة "نُجُوم ورُجُوم" عَلى ثَلَاثَةِ مبَادِئ؛ وَهِي الدِّفَاع عَن المبَادِئ الإسلَامِيّة وَالوَطنّية وَمقُومَات اللّغة العَربيّة، يَقِف الكَاتِب بالمرصَاد لِكُلّ مَن يَلمَسُ هَذا المثلّث بِسُوء، لا يخَاف وَلا يَترَدّد عَن قَوْل كَلِمَة الحَق، يَنتَقِي مَواضِيع جِدُّ حَسَّاسَة تُهُدِّد حَيَاته، وَيطرَحُها بِقوّة في مَقَالَاتِه؛ بِأُسلُوب رَاقٍ وَاضِح، لَا تَلاعُب فِيه وَلا تَطرُّف وَلا عُنصُريّة، يُرضِي بِه العَقل والذَّات.

وفي الأخير آمل أّنني قَد وُفّقْتُ في هَذِه الدّرَاسة، واستَطَعتُ أَن أَصِل إِلى أَهمّ النَتَائج، فَإن كُنتُ أَصبتُ فَبِفَضلِ الله عزّ وجلّ، وإن أخطأتُ فمنّي.

ملحـــــــــــق

)–تَرجَمَة المُؤَلِف مُحَمَد الهَادِي الحَسَنِي[1]:

الاسِم والنَّسَب: مُحَمَد الهادِي بن عَبدِ الوهَّاب (المدعو محمد الصَّالح) الحسَني.

تَارِيخ المِيلَاد وَمَكَانُه: 1947/09/05، بن يَاجِيس جْمِيلَة وِلَايَة جِيجِل.

السِيرَة العِلمِيّة:

الدِّرَاسَة الإِبتِدَائِيّة: مَدرَسة قلصَدَه، ثمّ مَدرَسَة الحيَاة بمدِينَة جِيْجِل.

الدِّرَاسَة الإِعدَادِيَّة: ثَانَويَّة ابن خَلدُون، ثُم ثَانَويّة عبَّان رَمضَان بمدِينَة الجزَائِر.

الدِّرَاسَة الثَّانَويّة: ثَانَويّة الشويخ بِدَولَة الكُويْت.

الدِّرَاسَة الجَامِعيَّة: كُليّة الآدَاب (قِسم التَّاريخ) بجَامِعَة الجزَائِر.

المَهَام والوَظَائِف: أَذكُر مِنهَا:

- رَئِيس مَصلحَة الكتاب العربي بمدِيريّة النَّشر بالشَّركة الوَطَنيّة لِلنشَّر وَالتّوزِيع (SNED).
- رَئيس قِسِم التُّراث بالمؤسَّسَة الوَطَنِية لِلكِتَاب (ENAL).
- منتدب لِلدَّعوة بمسجِد بَارِيس، وَإِمَام جُمعَة (1986–1988).
- عُضو المكتَب الوَطَني لج.ع.م.ج، مكلّف بالثَّقَافَة والإعلَام مِن 1999 إلى 2007، تَاريخ الانسِحَاب.

مُؤلّفَاته: أَذكُر مِنهَا:

1)_مِن وَحي البَصَائِر 2)_أَشِعَّة الشُرُوق3)_الاحتِلَال الفَرنسِي لِلجَزَائِر مِن خِلَال نُصُوص مُعَاصِرة 4)_المشَارَكَة في جَمع آثار الإمَام ابن بَادِيس وَتصحِيحِها5)_تَارِيخ الجزَائِر6)_نُجُوم وَرُجُوم 7)_الاستِشرَاق 8)_ الإمَام مُحَمَد البَشِير الإبرَاهِيمي.

المَقَالَات: ممّا جَاء بِه قَلمه في الصُّحف وَالمجلَّات مِنهَا:

1- مُشَارَكَات عَدِيدَة في جَرِيدَة الشَّعب.

2- كَان شاهدًا وَمشَارِكًا في جَريدَة الرِّسَالة التي صَدَرت في 1980.

3- سَاهَم في إِحيَاء جَريدَة العَصر الأُسبُوعِيّة.

4- مَقَالات في جَرَائِد منها: المسَاء–العصَر–الجزَائر–الشُّروق العَربي–الشُّروق اليَومِي... الخ.

(1) السيرة الذاتية للأستاذ محمد الهادي الحسني، **Sirage**، 2019/4/28 (Sirage.ty.blogspotion).

مُلتَقَيَات[1]:

أَشرَفَ عَلى تَنظِيم مُلتَقَيين لِلفِكر الإسْلَامي(23 تبسة – 24 الجزائر)، أمّا مشَاركته بمحَاضرَات في الملتقيَات، أَذكُر مِنهَا:

1- ج.ع.م.ج والاستشرَاق (ملتَقَى دُولي في مَعهَد الحضَارَة – وهران).

2- مَالِك ابن نَّبي وَجمعِية العُلمَاء (مُلتَقى دُولي في جَامِعَة الأَمِير عَبد القَادِر "قسنطينة").

3- مُولُود قَاسِم، فَيلَسُوف الرَّابط في جَبهَة التّاريخ (مُلتَقى دُولي نَظَّمَه المجلِس الإسلَامِي).

نُبذَة عَن مُدَوَّنَة نُجُوم وَرُجُوم:

يَعرِف القَارئُون في الجزَائر مقَالَات الأُستَاذ (محَمَّد الهادِي الحسَني)، مُنذُ مَا يَزِيد عَن العَقدَين، فَيعرِفُون صِدقَ إِشَارَته، وَجَمِيل عِبَارَاتِه (...)؛ وَهُو الذي يُنوّع في أَسَالِيب البَيَان والبُرهَان، حتّى يَنفَذ إلى مَا يَبغِيهُ مِن مقَاصِد المقَالَة وَيرتضِيه، ورُبَّما ارتَضَى أَسَالِيب السُّخرِية حَيث لَا يَجدُ إلَّاهَا خطابًا رَادعًا، وَهُو في ذَلِكَ قَبسة مِن حِكمَة ابن بَادِيس، وَعزم الإبرَاهِيمِي[2].

إنّ مَقَالاته جميعًا انتمَاء صَرِيح، إلى الإسلَام دينًا وَالعَربيّة لُغة، وَالجزَائر وطنًا (...)، فَشقَّت مَقَالَاته إلى قِسمَين: حُبه الذِي لَا يَزُول لِلحقّ وأَهلِه (نُجُوم)، وَبغضُه الذِي لَا يَلِين لِلبَاطِل وجنده (رُجُوم) [3].

"نُجُوم ورُجُوم" مَجمُوعَة مَقَالَات، نُشِرَت في "جَرِيدَة الشُّرُوق"، وَقَد جَمع فِيهَا لِستة ومَائة مِن مَقَالَات، كَتبَها بَين العَامِين الخَامِس والسَّابِع بَعد الأَلفَين، لِذَلِك فَهِي مَقَالَات شَاهِدَة عَلى زَمَانِها، وَزَمَان صَاحِبِهَا[4].

أَمّا مَقَالاته فَلا تَكَاد تَخرُج عَن أَحوَال الجَزَائِر، وقَضَايَا العَرب والمسلِمِين "الاجتِمَاعِيّة والدِينِيّة والمعرِفِيّة" بِصِفَة عامّة، وَهُو يَستَعمِل تَارةً الأُسلُوب الجَاد؛ حتّى كأنّه خطيبًا يحرِّض المؤمِنين عَلى التَّحرُك، وَتارةً الأُسلُوب التَّهكُمي حَتّى كَأنّه الجَاحِظ، وَهُو مَا يُسَمّيه البَعض بِطَرِيقَة التّنكِيت والتّبكِيت، وَكَم نَودُّ الإكثَار عِندَنا مِن هَذَا النَّمط مِن الكِتَابَة؛ التي تَصِل إلى قَلبِ وَعقْل القَارِئ،

(1) السيرة الذاتية للأستاذ محمد الهادي الحسني، المرجع السابق.

(2) ينظر: محمد الهادي الحسني: المصدر السابق، ص:7.

(3) ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(4) ينظر: المصدر نفسه، ص:8.

بِدُون تَردّد واستِئذَان، وَلَقد مَنح الله "الحَسَني" حاسَّة لاقِطَة وَشجَاعة فَائِقة؛ في تَنَاول الموضُوعَات الحسَّاسَة؛ بأُسلُوب الوَاعِظ الماهِر، والدَّارس الاجتمَاعِي البَارع والأَدِيب البَلِيغ[1].

إنّ الأستاذ "الحَسَني" قَد حَرّر المقَالَة الصّحِفية، مِن لهَو اللاهِين وَعبَث العَابِثِين، وَرد إِليهَا صَفَاء المعنَى وَبهَاء المبنَى، وَحِين أَجرى فِيهَا مِن بَلاَغة العَرَبِية وَأسرَارِهَا الأَدبِية، حتّى صَار علمًا مِن الأعلاَم المقَالَة الجزَائِرِيّة، تجلَّت عِندَه أدبًا راقيًا، في لَفظِهَا وشهَادَة عَالِية في مَطلَبِها، وَسيَاسَة فَائِقَة في تحلِيلِهَا وَسُخرِية رَائِقَة في حلَّتِها[2].

(1) محمد الهادي الحسني، المصدر السابق، **خلفية الكتاب**.

(2) المصدر نفسه، ص:8.

قائمة المصادر والمراجع

I) المصادر:

❖ **القرآن الكريم** "رواية ورش".

1- محمد الهادي الحسني: **نجوم ورجوم**، دار الصحافة فريد زويوش"القبة"،الجزائر، ط1، 2012م.

2- إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، وآخرون: **معجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، 2004م.

3- علي بن العباس بن جريج ابن الرومي: **ديوان ابن الرومي**، شرح./ أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مج 1، ط3، 1423هـ/2002م.

4- الفيروز آبدي: **القاموس المحيط**، تح/ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، دار المعرفة، بيروت، ط4، 2009م.

5- مجمع اللغة العربية: **المعجم الوجيز**، بيوت، (د،ط)، 1994م.

6- ابن منظور: **لسان العرب**، تح/ عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (مج2-4-6)، (ط1-2)، (2005م/2009م).

II) المراجع:

أ)- الكتب:

1- آصف دريباتي: **السخرية في شعر نديم محمد**، دار الجنان للنشر والتوزيع، بيروت، (د،ط)، 2016م.

2- الأزهر الزناد: **دروس في البلاغة العربية "نحو رؤية جديدة"**، المركز الثقافي للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1992م.

3- بدر الدين بن مالك الشهير بابن الناظم: **المصباح في المعاني والبيان والبديع**، تح/حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب للطباعة و النشر و التوزيع، مصر، مج4، ط1، 1989م.

4- السيد أحمد الهاشمي: **جواهر البلاغة في المعاني والبديع والبيان**، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د،ط)، (د،ت).

5- السيد عبد الحليم محسن حسين: **السخرية في أدب الجاحظ**، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلام، الأردن، ط1، 2012م.

6- شمس واقف زادة: **الأدب الساخر أنواعه وتطوره مدى العصور**، (د،ط)، (د،ت).

7- عبد العزيز عتيق: **علم البديع**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت).

8- عبد العزيز عتيق: **علم البيان**، دار النهضة العربية، بيروت، (د،ط)، 1985م.

9- عبد العزيز عتيق، **علم المعاني**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1،2009م.

10- علي محمد محمد الصلبي: **عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور فكر الخوارج**، دار البيارق، عمان، ط1، 1952م.

11- علي جواد طه: **مقدمة في النقد الأدبي**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1979م.

12- محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي: **حاشية الدسوقي**، تح/ خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية، لبنان، مج1، (د،ط)، 1971م.

13- محمد العبد: **المفارقة القرآنية "دراسة في بنية الدلالة"**، دار الفكر العربي، مصر، ط1، 1994م.

14- محمد ناصر بوحجام: **السخرية في الأدب الجزائري الحديث**، نشر جمعية التراث، القرارة، غارداية، الجزائر، ط1، 2004م.

15- نزار عبد الخليل ضمور: **السخرية والفكاهة في النثر العباسي**، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2012م.

16- د. نعيم اليافي: **أطياف الوجه الواحد "دراسة نقدية في النظرية والتطبيق"**، مطبعة إتحاد كتاب العرب، ط1، 1997م.

17- هاني عبد الرحمان: **الدلالة المشتركة**، دار المؤمون للنشر والتوزيع، (د،ط)، 2017م.

ب)– الجرائد والمجلات:

1- أمال مرابطي، سعيد بن رزقة: **المجتمع الذي لا يضحك مجتمع معرض للهزات النفسية،** جريدة الشعب، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، ع 16854، 2015م.

2- جمال الجاسم المحمود: **فن المقالة،** مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، مجلد 24، ع1، 2008م.

3- حياة هروال: **السخرية... النسق المضمر/المعلن في قصيدة اليومي الجزائري، مقاربة ثقافية في قصيدة التسعينات،** مجلة إشكالات، جامعة محمد الصديق بن يحيى، جيجل، الجزائر، مج6، ع3، 2017م.

4- راشد عيسى: **الصورة الفنية في المقالة الصحفية الساخرة،** مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، جامعة البلقا التطبيقية، عمان، الأردن، مج30، ع11، 2016م.

5- عاصم شحادة علي: **المفارقة اللغوية في معهود الخطاب العربي دراسة في بنية الدلالة،** الأثر الجامعة الإسلامية، ماليزيا، ع10، (د.ت).

6- عمار عبد الله عنبر، محمد حسن عواد: **الأسلوبية وقراءة النص الأدبي،** مجلة الجامعة الأردنية، مج 41، ع2، 2014م.

7- محمد سالم قريميدة: **مصطلح المفارقة والتراث البلاغي العربي القديم،** مجلة جامعة الزاوية، مج1، ع16، 2014م.

8- محمد صالح شريف العسكري: **سخرية الماغوط في العصفور الأحدب،** مجلة الدراسات في اللغة وآدابها (د،مج)، ع8، 2012م.

9- محمد حمد عبد الله حسن السلام: **فن المقال بين الأصالة والتطور "رؤية نقدية"**، الدراية مجلة علمية محكمة تصدرها كلية الإسلامية والعربية، بنين بدسوق، (د،مج)، ع15، 2015م.

10- مرية ريمة غربي: **التشكيل الأسلوبي لظاهرة السخرية عند البشير الابراهيمي "وحي البصائر أنموذجا"**، مجلة العلوم الانسانية، كلية الآداب واللغات، جامعة العربي بن مهيدي–أم البواقي–، الجزائر، مج أ، ع 41، 2014م.

ج)– المذكرات الجامعية:

1- عبد الخالق عبد الله: **السخرية في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث هجريين،** رسالة دكتوراه إشراف الدكتور حسين أحمد عطوان، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الأردنية، السنة الجامعية 2003م.

د)– المواقع الإلكترونية:

1- باقر الفضلي: **السخرية والأدب الساخر، الحوار المتمدن،** يوم 2019/03/07م (www.mabe.org war)

2- سيرة محمد الهادي الحسني: **Sirage**، 2019/04/28، (Sirage.Ty.blogs potion)

3- عبد الكريم البوغبيش: **الهجاء والسخرية في شعر ابن الرومي، ديوان العرب،** 2019/03/23، (www.diwanalarab.com)

4- د. عبد الله إبراهيم: **السخرية،** جريدة **الرياض،** ع17134، (www.alriyadh.com)

فهـــــــــرس

الرقم	العنوان	الصفحة
1	مقدمة.....	أ
2	تمهيد.....	6
	المبحث الأول: السخرية في الأدب العربي عامة والجزائري خاصة وموضوعاتها في المدونة	
3	المطلب الأول: السخرية في الأدب العربي عامة.....	11
4	المطلب الثاني: السخرية في الأدب الجزائري.....	18
5	المطلب الثالث: موضوعات السخرية في المدونة "نجوم ورجوم"....	20
	المبحث الثاني: المظاهر الأسلوبية لتجلي السخرية في مدونة "نجوم ورجوم"	
6	المطلب الأول: مفارقة العنوان.....	24
7	المطلب الثاني: أسلوب الاستفهام.....	38
8	المطلب الثالث: أسلوب التنكيت والتندر وأسلوب التبكيت.....	51
9	المطلب الرابع: أسلوب المفارقة وأسلوب التعريض	64
10	خاتمة.....	73
11	ملحق.....	11
12	قائمة المصادر والمراجع.....	80